

القافلة

جمادى الأولى ١٤٠٨هـ ديسمبر ١٩٨٧/يناير ١٩٨٨م

المساجد الحديثة في المملكة

القافلة

THE CARAVAN - DEC./JAN. 1988

جمادى الأولى ١٤٠٨هـ ديسمبر ١٩٨٧/ يناير ١٩٨٨م

العدد الخامس/ المجلد السادس والثلاثون

مجلة ثقافية
تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

تـوزع مجـانـاً

المدير العام: فيصل محمد البسام

المدير المسؤول: اسماعيل ابراهيم نواب

رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي

المحرر المساعد: عوني أبوكشك


المساجد الحديثة في المملكة


توأم الأرض


المدينة الصناعية الثانية بالرياض


طرائف من عالم النمل

صورة الغلاف: منظر ليلي لجامع الظهران. تصوير: «محمد شبيب».

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ما ينشر في "القافلة" يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- يجوز اعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها.

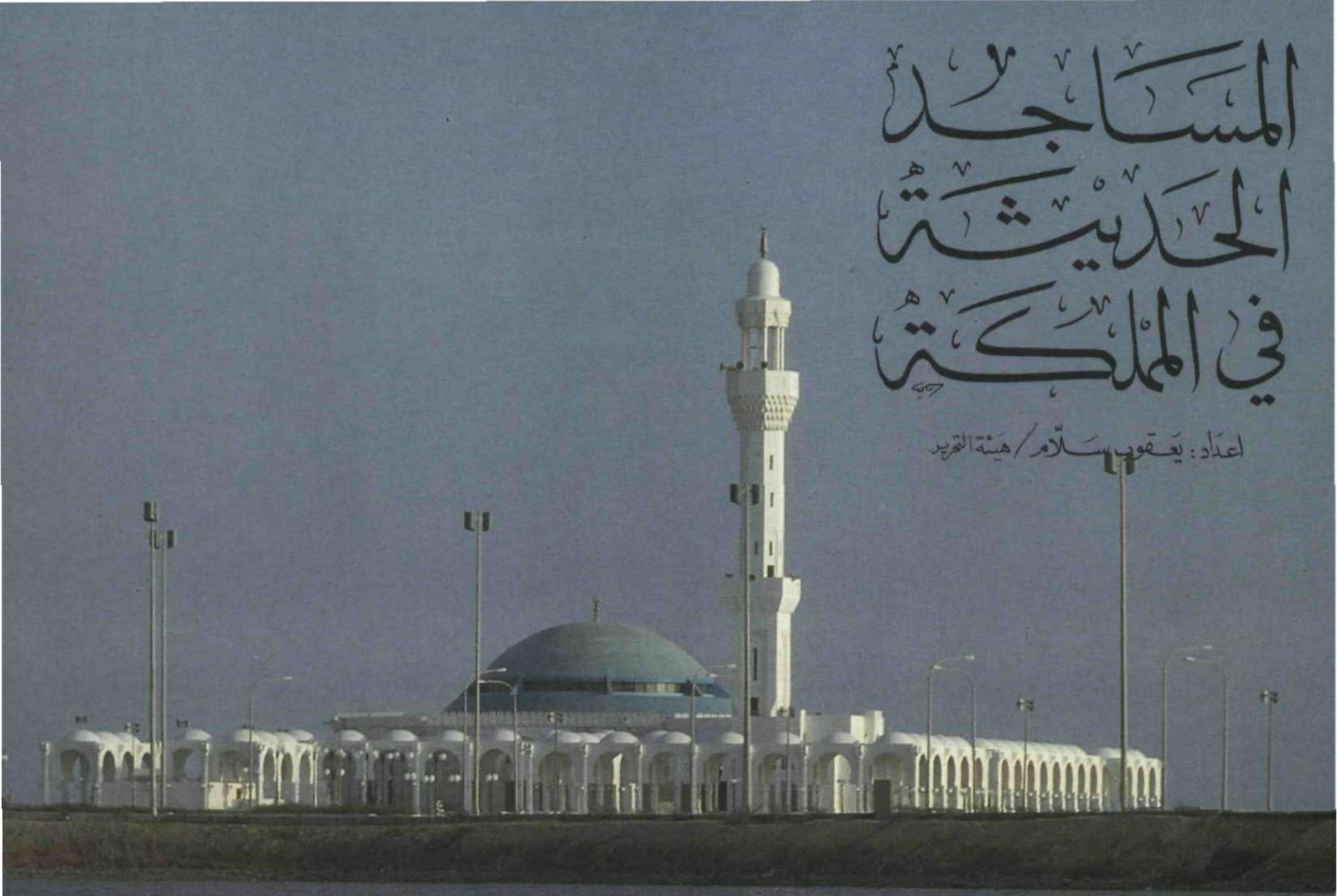
العنوان
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - ٣١٣١١
المملكة العربية السعودية

تنفيذ وطباعة شركة مطابع المطوع - الدمام - المملكة العربية السعودية

DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM

المساجد الحديثة في المملكة

اعداد: يعقوب سلام / هيئة التحرير



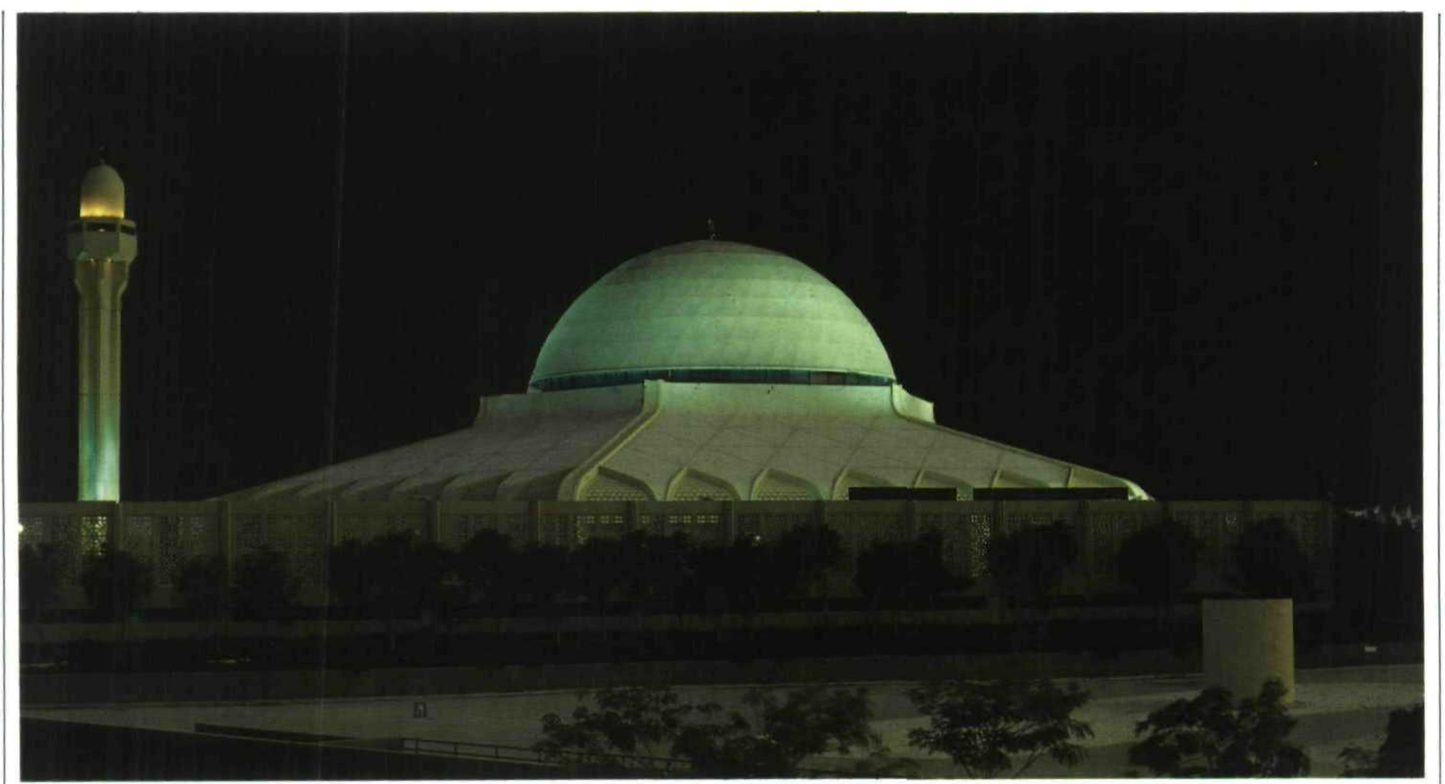
مسجد جامع السيدة فاطمة على كورنيش البحر بجدة وقد أرسيت أعمدته في البحر ويسع لحوالي ألف مصل

برزت الى حيز الوجود في السنوات العشر الأخيرة العديد من المساجد الحديثة ذات الأنماط المعمارية والهندسية المميزة التي تجمع بين الفن المعماري الاسلامي العريق والفن المعماري الحديث. كما شهدت الفترة نفسها ايضا إنشاء العديد من المساجد ذات الطرز المعروفة كالطراز المملوكي، والتركي، والفاطمي، والسعودي القديم الذي يشبه القلاع. كما جمعت بعض المساجد أكثر من طراز واحد في بنائها، إلا أنها جميعا كانت تنشد الجمال والبساطة إضافة الى المتانة والقوة. وكانت القباب هي القاسم المشترك بين هذه المساجد والجوامع كلها، اضافة الى إدخال عنصر الزجاج الملوّن في إنارة باحات المساجد واروقتها، وقد استخدم الزجاج الملون في أجزاء كبيرة من الجدران لتوفير الإنارة الجيدة للمساجد وإكسابها مسحة جمالية.

ومن نعم الله على المؤمنين أن جعل لهم المساجد أماكن عبادة يتقربون فيها الى الله تعالى بالصلاة والدعاء وطلب المغفرة. وكثير من هذه المساجد الحديثة المميزة قد أنشئت على نفقة أهل الخير الذين يرجون الثواب من الله العلي القدير، وفي ذلك يقول المولى: ﴿**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة**﴾.

المساجد هي بيوت الله، ولقدسية المسجد فقد ورد ذكره في سور عديدة من القرآن الكريم قال تعالى: ﴿**في بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيها إسمه**﴾ وقال تعالى: ﴿**وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا**﴾ وقال تعالى: ﴿**وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين**﴾.

وقد شيدت المساجد لأغراض التقرب الى الله سبحانه وتعالى دون نفاق او رياء وفي ذلك يقول الله ﴿**لمسجد أسس**



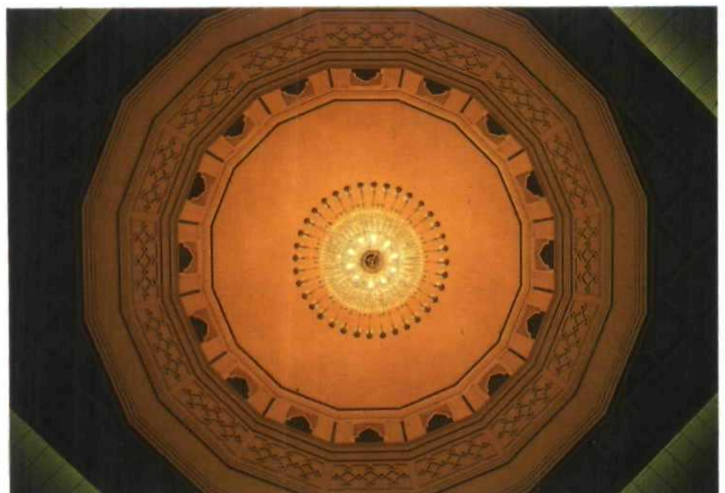
مسجد جامع مطار الملك خالد بالرياض يتسع لاكثر من خمسة آلاف مصلٍ في الداخل ومثلهم في الخارج، وفي الصورتين الآخريين اسفل تبدو قبة الجامع نفسه ومدخله المعشق بالزجاج الملون.

على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه﴾. وكان أول بيت وضعه الله للناس لعبادته فيه هو البيت الحرام بمكة المكرمة كما جاء في القرآن الكريم ﴿**ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا**﴾. وقد بدأت العمارة الاسلامية منذ فجر الاسلام ببناء المساجد، وتبع ذلك بناء المدارس والمصليات. ولو تتبعنا تطور العمارة الاسلامية لوجدنا ان المساجد هي حجر الزاوية فيها.

لقد كان أول عمل قام به رسول الله، ﷺ، عند هجرته الى المدينة المنورة هو بناء أول مسجد في المدينة ألا وهو مسجد قباء، وكان بناؤه بسيطا ثم ابتنى الرسول، صلى الله عليه وسلم، مسجده في المدينة وقد كان بناؤه بسيطا أيضا.

وقد دأب المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها في مختلف العصور على بناء مساجد اختلفت من حيث الطراز والمساحة باختلاف المكان والزمان. وكانت المساجد في صدر الاسلام تخلو من المآذن ومن المنابر على غرار مسجد رسول الله، ﷺ.

وبطبيعة الحال لم يبق تخطيط المساجد على ما كان عليه في عهد الرسول والخلفاء الراشدين من بعده، بل أخذ في التطور ومواكبة مختلف مراحل الحضارة الاسلامية، وقد بدأ هذا التغيير في نمط بناء المساجد تبعا لظروف الدولة الاسلامية، فهناك طراز المساجد التي أنشئت في صدر الاسلام خلال عهد الخلفاء الراشدين، ثم تلك التي أنشئت



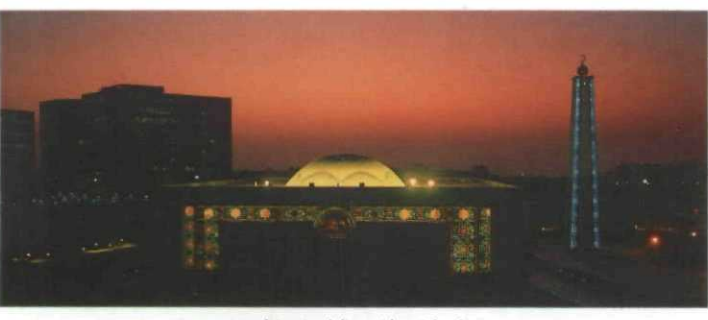


في عهد الامويين بالشام وفي الاندلس والعباسيين والفاطميين والعثمانيين. ومن هنا برز التباين في طرز المساجد التي أنشئت خلال الفترات المتعاقبة. وقد اتبع العثمانيون في إنشاء المساجد طرازا معماريا يعتمد على القباب، وادخلوا الزجاج الملون في زخرفة القباب وجدران المساجد، مما أضفى على المسجد رونقا وجمالا أخاذا اضافة الى ان ذلك كان عامل انارة أدخل الضوء الى المسجد.

ومهما بلغت هذه المساجد من الرفعة والجمال إلا أنها لا ترقى الى مستوى المساجد الثلاثة التي أشار اليها الرسول، ﷺ، حينما قال: **«لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»**.

وفي المملكة العربية السعودية من المساجد ما يفوق الحصر وهي، بحمد الله، متوفرة في المدن والقرى والهجر، على حد سواء، وعلى أنماط مختلفة، منها ما هو على الطراز المملوكي والعثماني، مع وجود مساجد على الطراز السعودي القديم وهي التي تشبه القلاع.

وفي السنوات العشر الأخيرة برزت مساجد على طراز مميز تجمع بين أكثر من طراز معماري واحد، وقد روعي في انشاء هذه المساجد الحديثة المتانة والبساطة والاتساع والاستفادة من تقنية البناء الحديث. ومثل هذه المساجد منتشرة في المدن الرئيسية بالمملكة. والعديد من هذه المساجد



منظر ليلي لجامع الظهران الحديث.



منظر داخلي لجامع الظهران.

قوس محراب جامع الظهران المعشق بالزجاج الملون.

موجود في جدة والرياض والطائف. كما يوجد جامع حديث أنشيء في النصف الاول من عام ١٩٨٧م في مدينة الظهران، المركز الرئيسي لشركة ارامكو، جمع بين المتانة والبساطة والاتساع وهو جامع يتوسط مدينة الظهران، وله مئذنة على الطراز المغربي رباعية الاضلاع وعلى ارتفاع أكثر من ٤٠ مترا، وقد زخرفت قبته وجدرانه بالزجاج الملون الذي يسمح بدخول الانارة الجيدة الى داخل الجامع، وهو يتسع لالف مصلّ ومصلّية وقد كسيت جدرانه بجرانيت رمادي اللون مستخرج من محاجر المنطقة الغربية وطوقت جدرانه الخارجية بآيات قرآنية كتبت بخط جميل كما زينت النوافذ بالزجاج المعشق الملون.

ومن المساجد المميزة التي أنشئت مؤخرا مسجد جامع مطار الملك خالد الدولي بالرياض، وهو مسجد ضخم يجمع بين الفن المعماري الاسلامي والفن المعماري الحديث، وله قبة كبيرة محاطة بالنوافذ الزجاجية التي تسمح بدخول الضوء الى الداخل وهو يتسع لحوالي خمسة آلاف مصل في الداخل ومثل هذا العدد في أروقة المسجد في الخارج. وبه مصلى للنساء وهو مزود بمكتبة فيها العديد من الكتب الاسلامية القيمة، وقد بني على ربوة تلاصق مباني المطار. وهناك مسجد جامع الجوهرة بالرياض ويتسع لحوالي أربعة آلاف مصلّ.

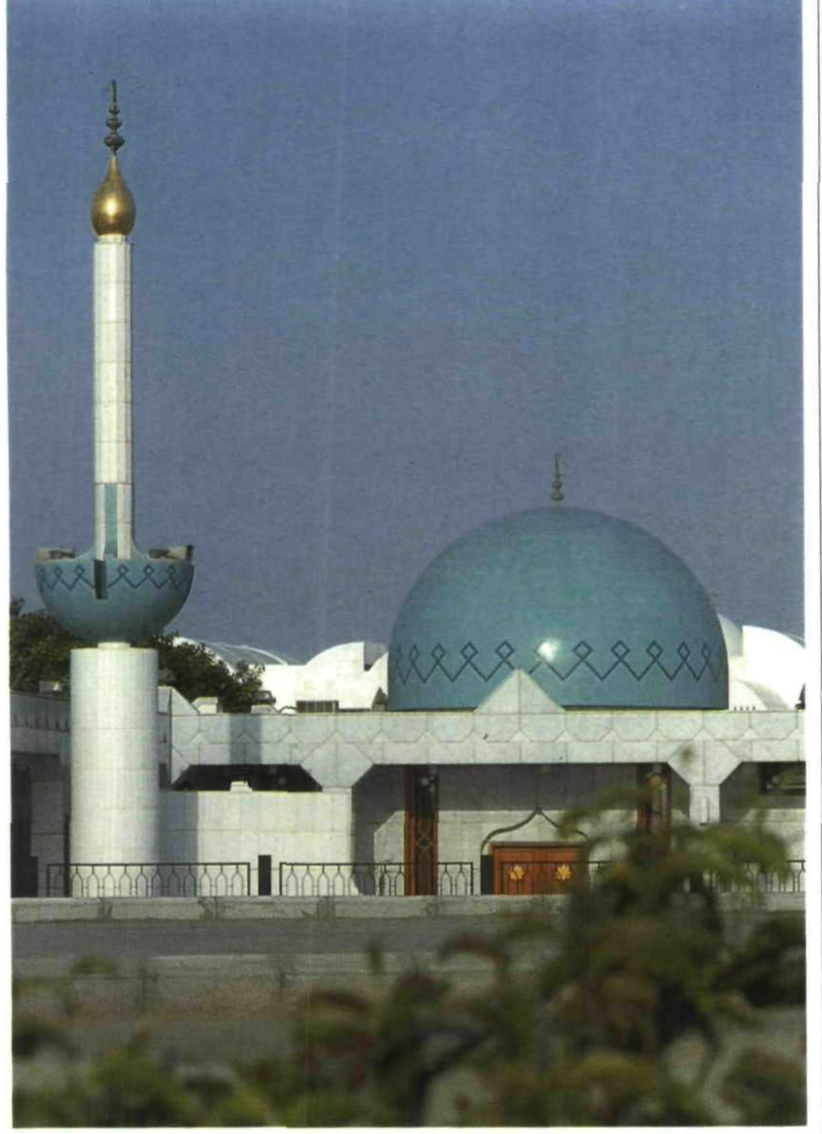
وفي مدينة جدة، يوجد عدد من المساجد الحديثة التي بنيت على طرز معمارية مختلفة تجمع بين البساطة والمتانة وتمتاز بقبابها ومآذنها العالية واستخدام النوافذ الزجاجية لأغراض الاضاءة.

وفي مدينة الطائف مساجد كثيرة تم انشاؤها في السنوات العشر الأخيرة منها جامع الطائف الكبير، إضافة الى وجود عدد من المساجد التي يرجع تاريخ انشائها الى فترات أكثر قدما وكذلك الجوامع الأثرية القديمة مثل مسجد الجن ومسجد الخبزة.

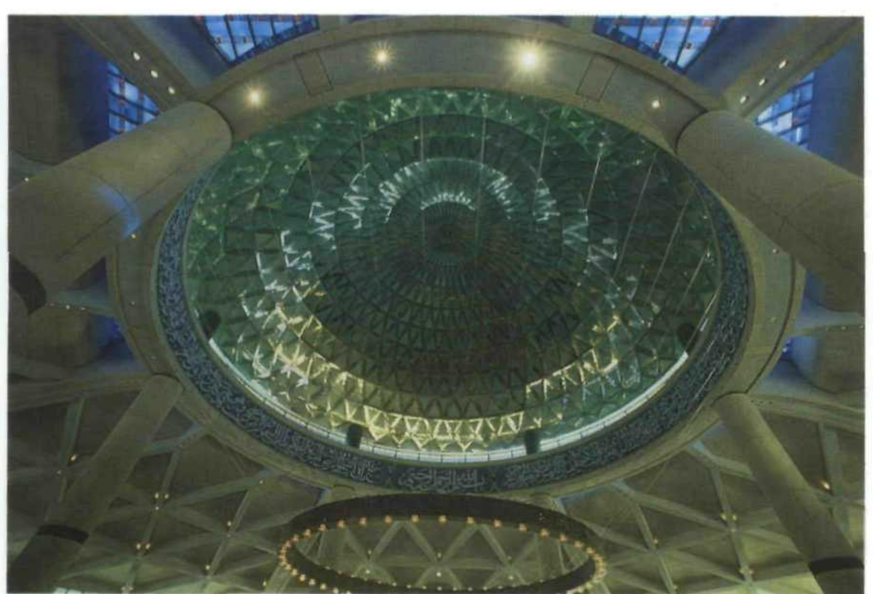
وقد أوضح سماحة الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن سلمة مدير عام الأوقاف والمساجد بمنطقة الرياض أن عدد المساجد والجوامع بمنطقة الرياض وحدها يبلغ حوالي ستة آلاف مسجد وجامع، وان عدد الجوامع والمساجد بالمملكة يقدّر بحوالي ٣٠ ألف مسجد وجامع. وأوضح سماحته أن وزارة الحج والأوقاف تقوم بتأمين كميات كبيرة من قطع السجاد المستطيل المصنع وطنيا خصيصا لفرش المساجد بالاضافة الى كافة أجهزة مكبرات الصوت وما يلزم لبيوت الله من أجهزة التهوية والتبريد ومستلزمات النظافة، بالاضافة الى مد المساجد بأكثر من ستمائة الف نسخة من المصحف الشريف من مجمّع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة المنورة كما أشار الى أن جملة ما تم إنشاؤه وترميمه من المساجد والجوامع في المملكة خلال العقد المنصرم من قبل الدولة قد بلغ حوالي ٢٨٤٥ مسجدا وجامعا □



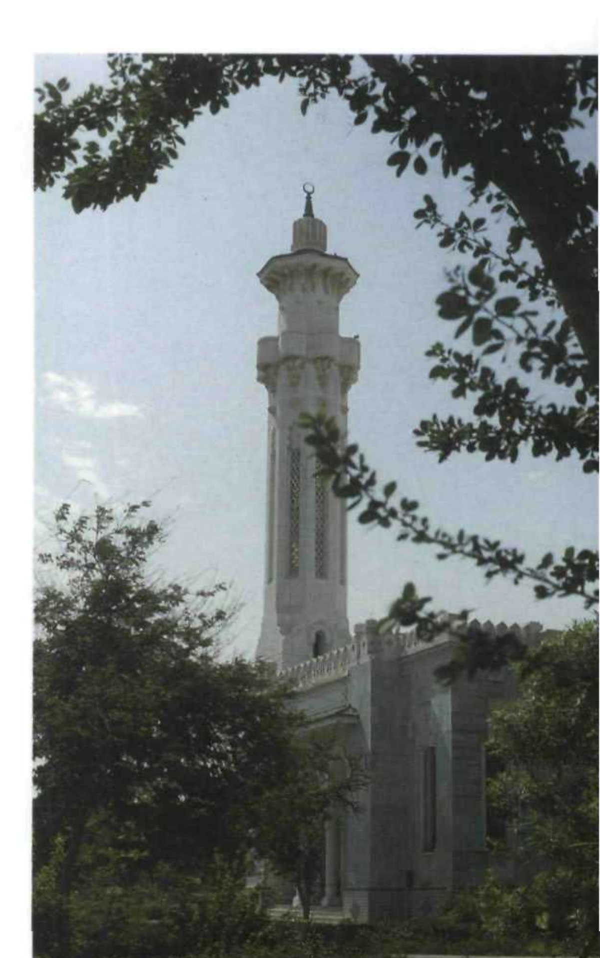
مسجد جامع آخر على الكورنيش بجدة وله مئذنتان مرتفعتان مضلعتان على الطراز العثماني.



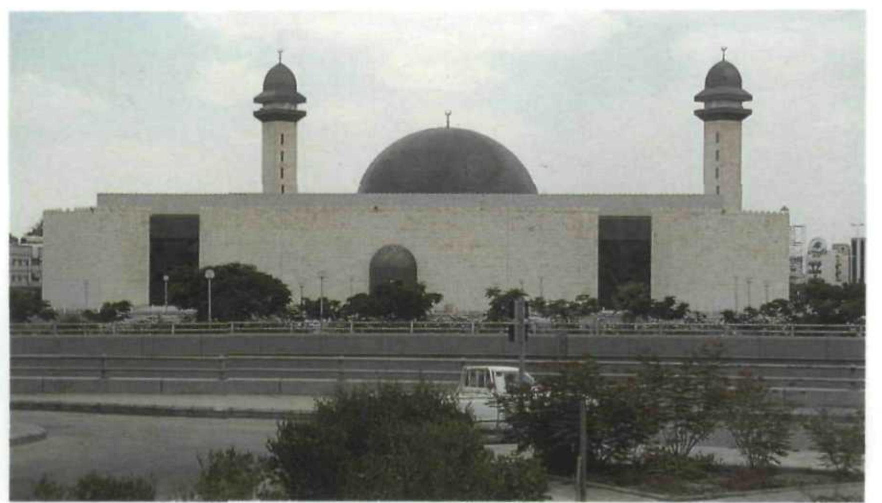
مسجد الدّلة في الواجهة المقابلة لكورنيش البحر وقد صممت مئذنته على شكل دلة القهوة.



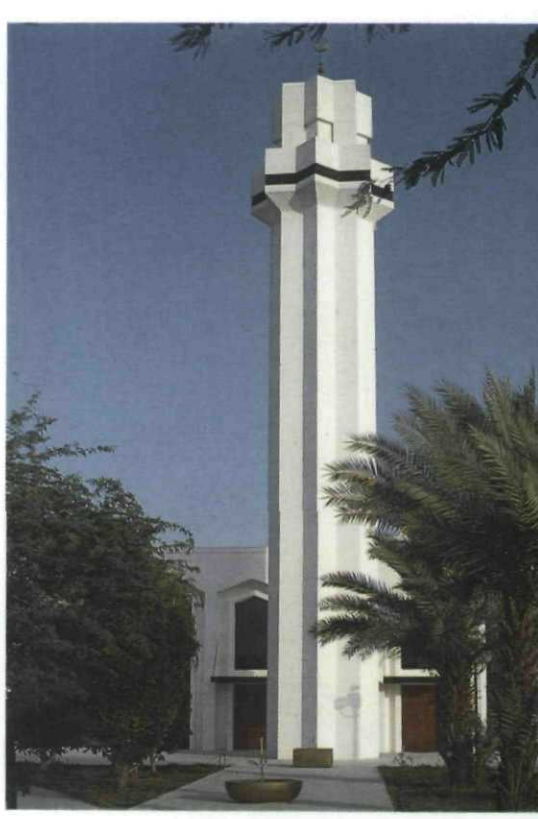
نجفة مستديرة تتدلى من قبة مسجد جامع الملك خالد بالرياض وقد برز فن استخدام المثلثات في البناء من الداخل.



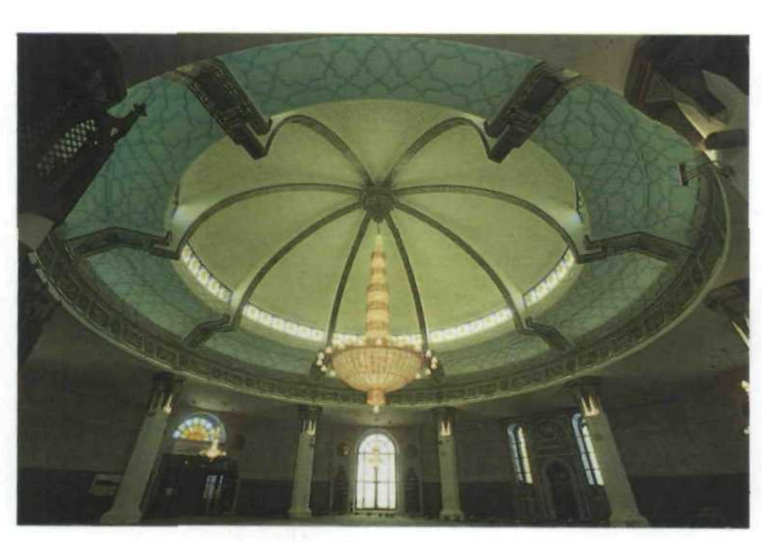
مسجد آخر في أحد أحياء جدة.



مسجد الجامع الكبير بالطائف ويتسع لأكثر من خمسة آلاف مصل وفيه مصلى للنساء.



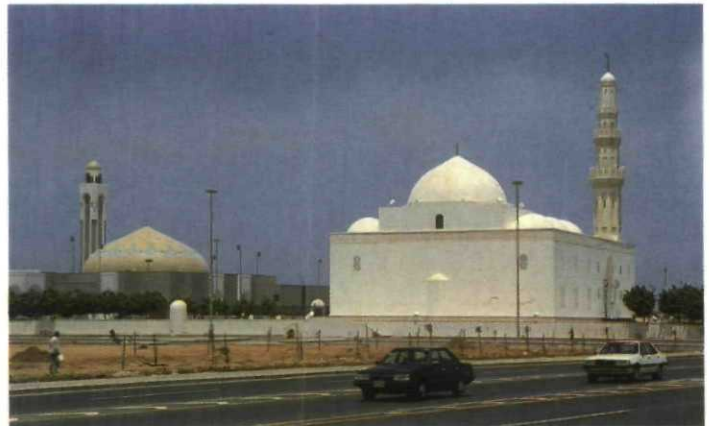
أحد المساجد الحديثة في الحي الدبلوماسي بالرياض.



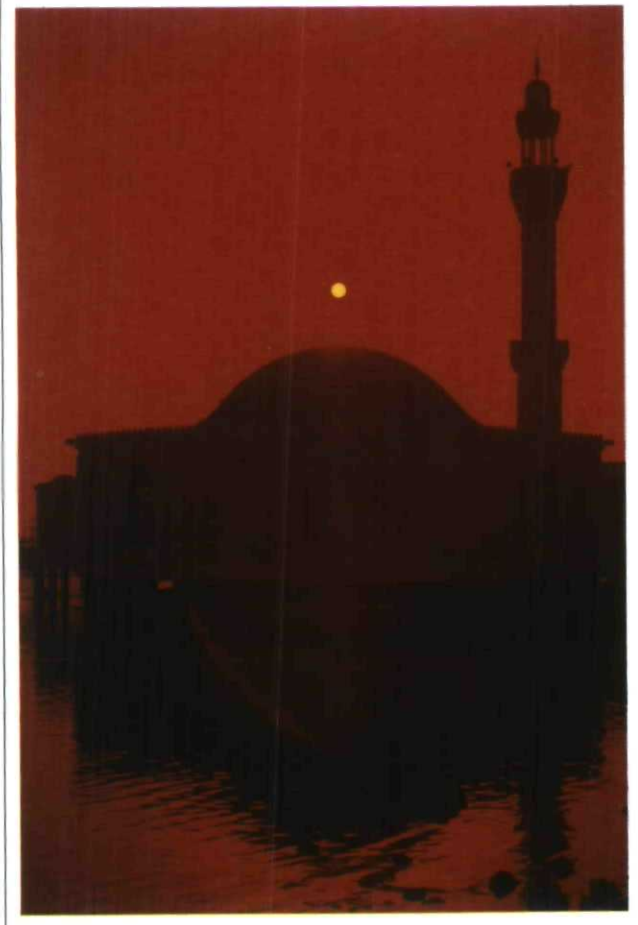
نجفة ضخمة تتدلى من قبة أحد المساجد بجدة.



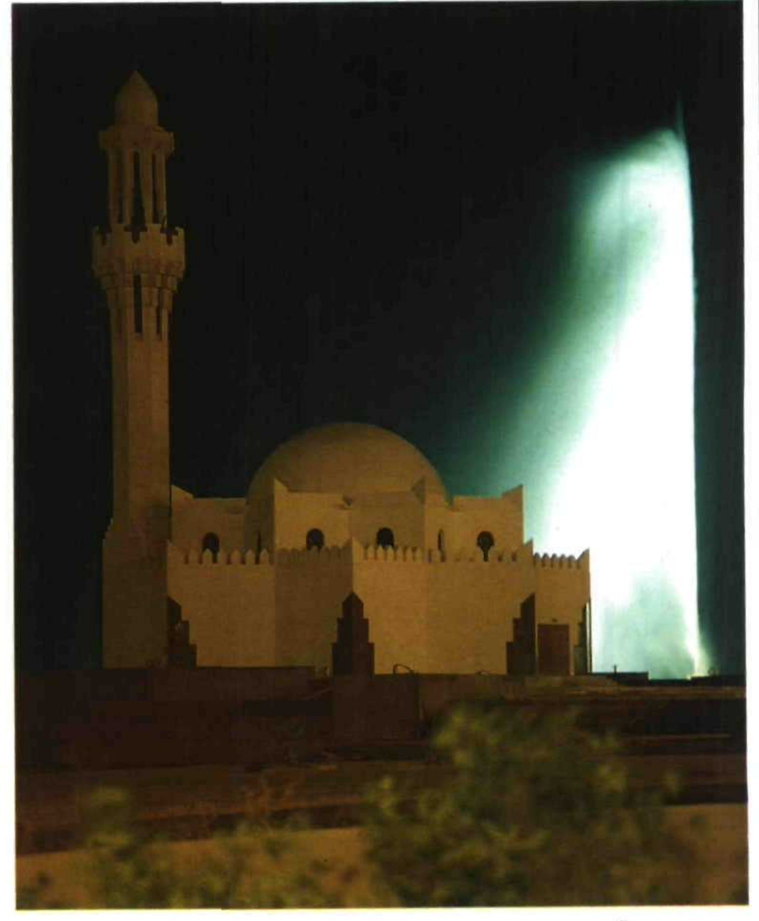
مسجد الخبزة بمنطقة المثناة بالطائف
وهو من المساجد الأثرية.



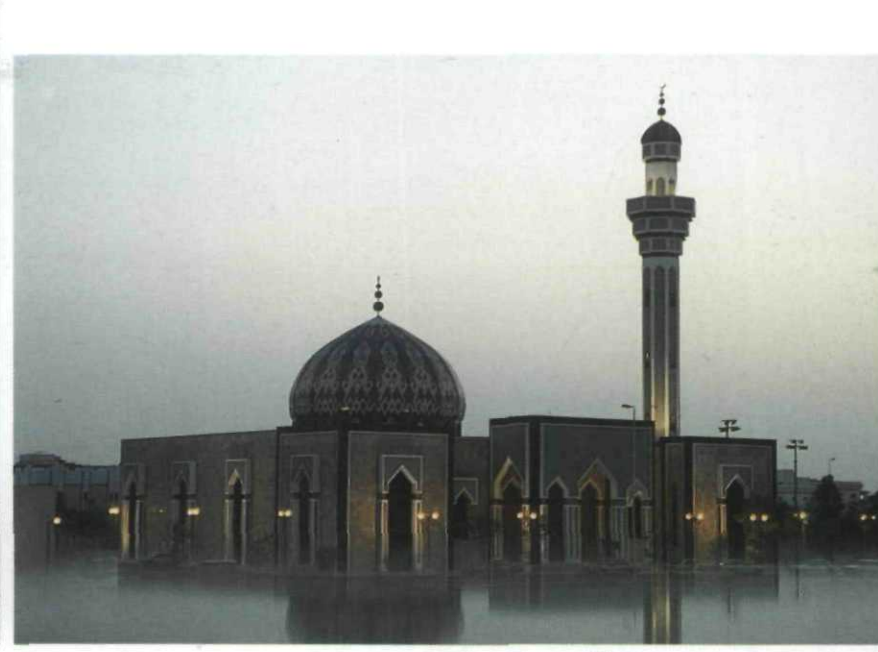
تكثر المساجد في جدة وهي تتسع للعديد من المصلين ويرى هنا مسجدان متقاربان على طرازين مختلفين من البناء.

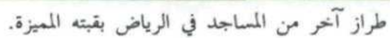


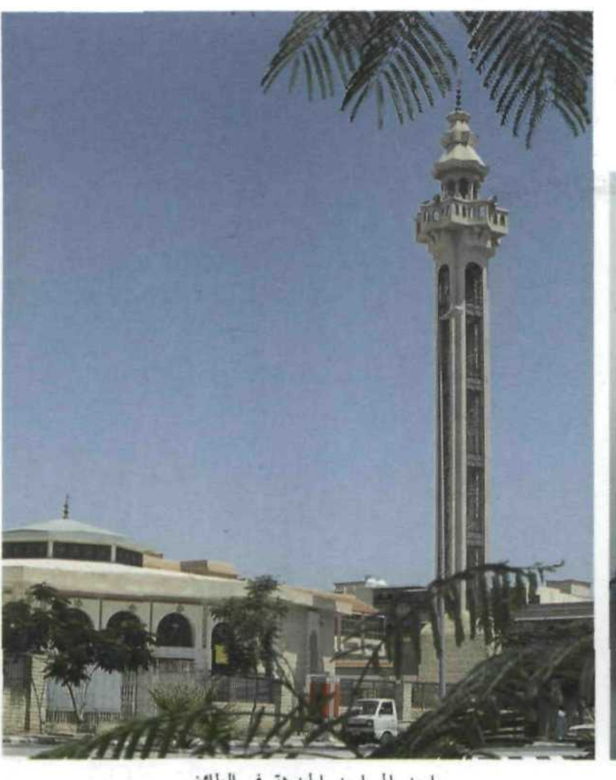
لقطة لمسجد جامع السيدة فاطمة بجدة عند الشفق.



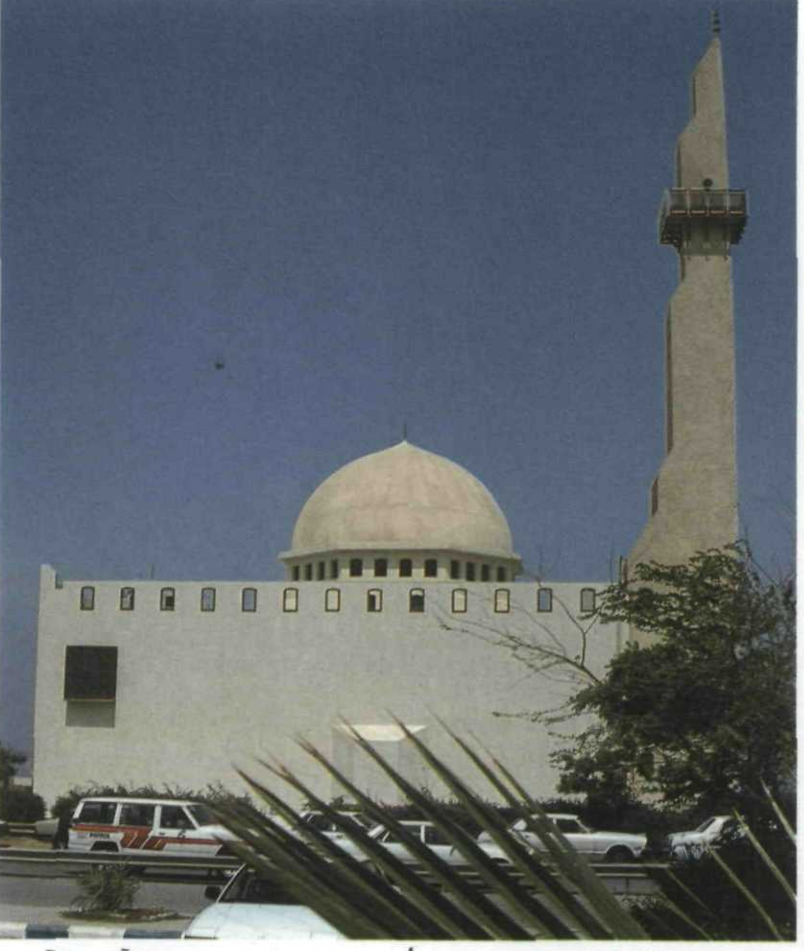
مسجد آخر على الكورنيش بجدة وقد بدت من خلفه نافورة الماء المشهورة.



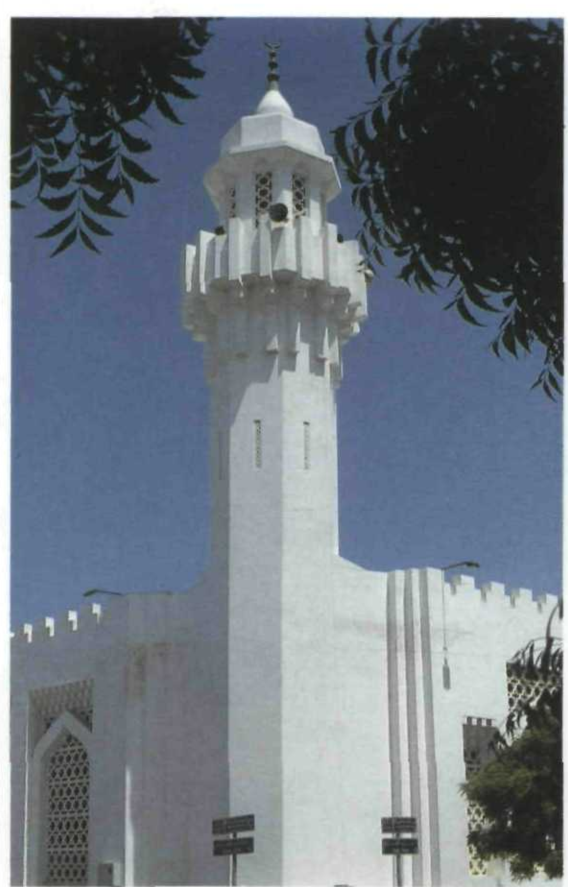

طراز آخر من المساجد في الرياض بقبته المميزة.



احد المساجد الحديثة في الطائف.

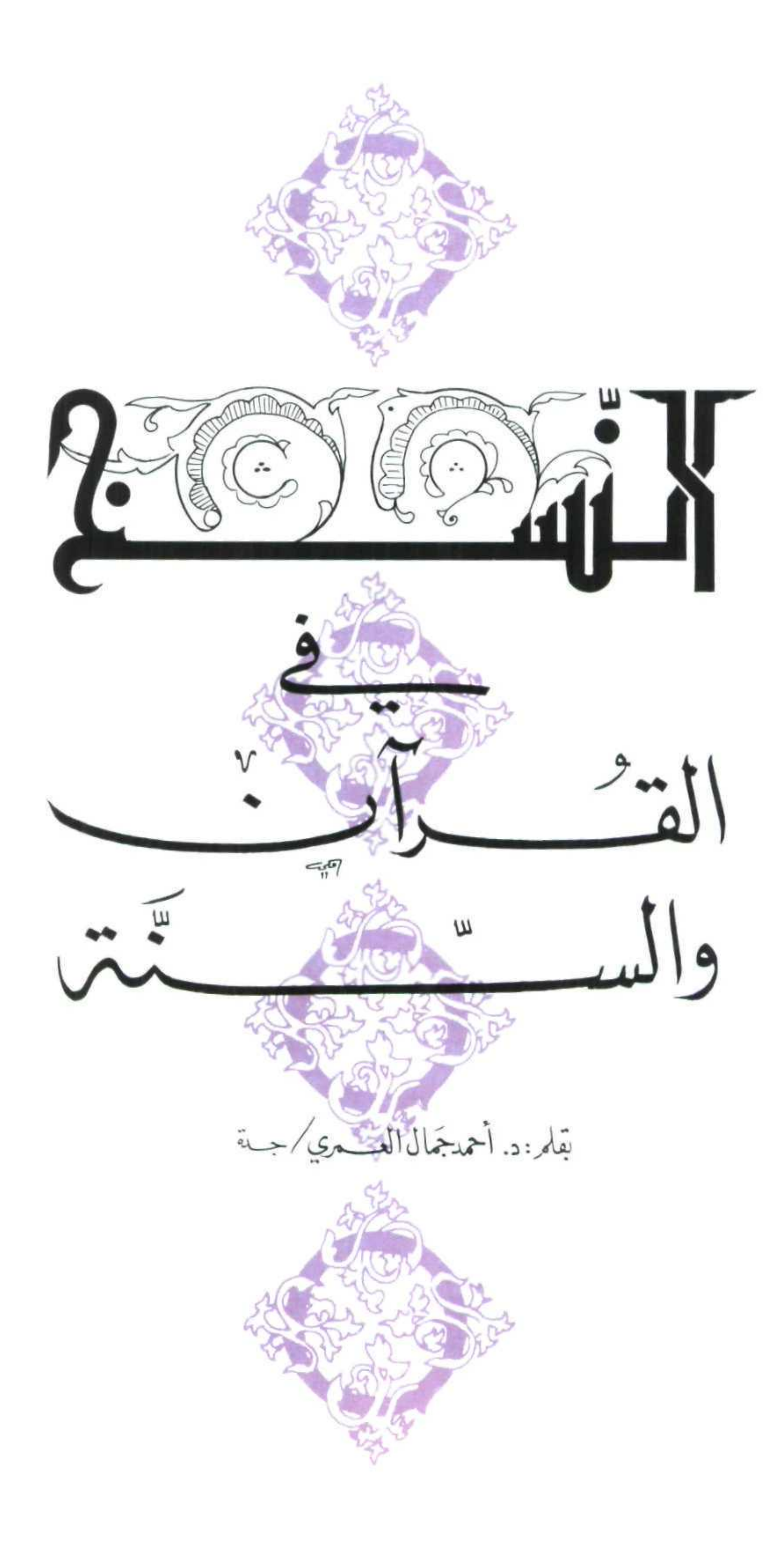


مسجد قرب المركز التجاري بجدة على البحر الأحمر وقد ازدان بالرواشن الخشبية والآيات القرآنية من الداخل.



طراز معماري آخر لأحد المساجد بجدة وقد صممت المنارة على شكل سداسي الاضلاع.


تصوير: محمد شبيب/ارامكو



لم يرد الله سبحانه وتعالى أن يكون إنزال القرآن على سنن إنزال الكتب السماوية السابقة جملة واحدة بل اقتضت حكمته ــ عز شأنه ــ أن يكون إنزاله مُنَجَّما، أي مفرّقاً الى أجزاء، بضع آيات بضع آيات، موزعاً حسب الحوادث، مقسما على الأزمان، وفقا لظروف النبي ــ ﷺ ــ ووفقا لظروف دعوته. وقد بيَّن الحق ــ جل وعلا ــ الحكمة من انزال القرآن منجّما، بقوله: **﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾**(١).

وقال عز وجل: ﴿وقال الذين كفروا لولا نُزِّل عليه القرآن جملة واحدة، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾(٢). فبيَّن الله سبحانه، أن حكمة تنجيمه أن يقرأه على الناس على مهل، وأيضا تثبيت قلب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في مواطن اللجاج والخصومة بينه وبين المكابرين من أعدائه، واقتصر في بيان حكم تنجيم القرآن على هذه الحكمة لمناسبة المقام، ولحاجة الرسول الى التثبيت والمؤازرة في مواجهة اعداء الدعوة.

وحكمة ثانية، شاءها الحق سبحانه لنزول القرآن منجّما، وهي احتواء القرآن على متن الفقه الاسلامي كله، اي على عامة أحكامه في الجملة، سواء منها ما يتعلق بالمعاملات المدنية، او الأحوال الشخصية، أو العقوبات، او النظم الاجتماعية أو المالية.

وحكمة ثالثة، اقتضتها ارادة الله، في أن تكون عامة احكامه التي تضمنها كتابه المبين، جوابا على أسئلة أو حلا لاشكال، حتى تكون أوقع في النفس، وألصق بالحياة، وتلك وسيلة تربوية ظاهرة لا تحتاج الى مزيد بيان لها، وإنما سبيل ذلك أن تتدرج هذه الاحكام وآياتها في النزول تنتظر مناسباتها وظروفها، ولذلك نجد أن كثيراً من آي القرآن، إنما نزل جواباً على سؤال، أو حلاً لإشكال.

ولقد اقتضى التدرج بالناس في التشريع، أن يوجد ثمة ناسخ ومنسوخ في آيات الله، إذ رُب حكم كانت المصلحة والرحمة بالناس تقتضي أخذهم به على مراحل، كتحريم الربا، وتحريم الخمر. ذلك ان حكمة الله تعالى، من تنزيل تشريعاته السماوية على رسله، هي إصلاح الناس في العقيدة والعبادة، وبما أن العقيدة واحدة، لا يطرأ عليها تغيير لقيامها على توحيد الألوهية والربوبية، فقد اتفقت دعوة الرسل جميعا عليها.

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾(٣).

أمّا العبادات والمعاملات فانها تتفق في الأسس العامة التي تهدف الى تهذيب النفس، والمحافظة على سلامة المجتمع، وربطه برباط التعاون والإخاء، إلا أن مطالب أي أمة قد

---

(١) الاسراء/١٠٦. (٢) الفرقان/٣٢. (٣) الأنبياء/٢٥.

تختلف عن مطالب أمة أخرى، وما يلائم قوما في زمن قد لا يلائمهم في زمن آخر، ومسلك الدعوة في طور النشأة والتأسيس يختلف عن شرعتها بعد التكوين والبناء.

فحكمة التشريع في هذه تختلف عن تلك، ولا شك أن المشرِّع — جلّت حكمته — وسع كل شيء رحمة وعلما، ولله الأمر والنهي سبحانه **﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾**(٤). فلا غرابة في ان ينسخ الله سبحانه، تشريعا بآخر، مراعاة لمصلحة عباده، تحقيقا لارادته عن علم سابق شاءه في الأزل.

وعلم الناسخ والمنسوخ من العلوم الواجب معرفتها، لكل من يتصدى لتفسير القرآن، وتقعيد الأحكام الشرعية، والقضاء والفتوى، ذلك أن معرفة هذا العلم تجعل الباحث على هدى من أمره، وبينة من سلوكه.

لقد روي عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أنه مر على قاض فقال له: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقال: لا، فقال: هلكت وأهلكت.

وعن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال في تفسير قوله تعالى: **﴿ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا﴾** قال: «ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحرامه وحلاله»(٥).

فما النسخ؟ وما شروطه؟ وما الحكمة من وقوع النسخ؟ وما أقسامه؟ وما طرقه؟ ما موقف أهل الكتاب من النسخ؟ هذا هو موضوع هذا البحث.

ما النسخ؟

للنسخ معان عدة في اللغة، وفي الاصطلاح، كلها تدور بين النقل، والابطال، والازالة فيقال: «نسخ فلان الكتاب» اذا نقله عن مقابله، حاكيا لفظه وخطه. ونسخ النحل، نقله من خلية الى أخرى، وتناسخت المواريث، اذا انتقلت من قوم الى قوم. ويقولون: «نسخت الريح آثار القوم» اذا ابطلتها، وعفت عليها. ويقولون: «نسخت الشمس الظل»، أي أزالته، ومنه قول الله سبحانه: **﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يُحْكِمُ الله آياته﴾**(٦).

أما النسخ في الاصطلاح: فهو كما عرّفه ابن الحاجب: «رفع حكم شرعي بدليل شرعي قطعي الدلالة ومتأخر عنه»، والمقصود «بالحكم الشرعي» خطاب الله المتعلق بأفعال المكلّفين، كما أن المقصود «بالخطاب الشرعي» وحي الله مطلقا، متلوا أو غير متلو، ويشمل الكتاب والسنة.

ويطلق الناسخ على الله — جل وعلا — بدليل قوله تعالى: **﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾**(٧) كما يطلق لفظ «الناسخ» على الآية فيقال: هذه الآية ناسخة لآية كذا، ويطلق كذلك على الحكم، فيقال: هذا الحكم ناسخ للحكم كذا، والمنسوخ هو الحكم المرتفع. ومثاله: ما روي أن رسول الله — ﷺ — والمسلمين، كانوا في أول الأمر يتوجهون في صلاتهم الى بيت المقدس، ثم أمروا بالتوجه الى المسجد الحرام، بقوله تعالى: **﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾**(٨).

فالحكم المنسوخ كان قد شرع بالسنة الفعلية، ثم رفعت الآية هذا الحكم، وأوجبت التوجه الى البيت الحرام في الصلاة. ومثاله أيضا: قوله تعالى **﴿كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين﴾**(٩). فهذه الآية — كما ذكر الفقهاء — منسوخة بآية المواريث. وقيل: ان الناسخ حديث «لا وصية لوارث»، وقيل: ان الناسخ هو الاجماع.(١٠).

ومن النسخ أيضا: قوله تعالى: **﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا، وأولئك هم الفاسقون﴾**(١١). فقد دلت هذه الآية بعمومها على وجوب الحد على كل قاذف، سواء كان زوجا أو غيره، وسواء كانت المقذوفة زوجة للقاذف او غير زوجة له. وقد نسخ هذا العموم، واقتصر الحكم على من يقذف غير زوجته بقوله تعالى: **﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين...** (الآيات الى الآية الثامنة من سورة النور).

فقد نزلت هذه الآيات حين قذف هلال بن أمية زوجته عند رسول الله — ﷺ — فقال له النبي **«البينة أو حد في ظهرك»**. فقال هلال: يا رسول الله.. اذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل رسول الله — ﷺ — يقول: «البينة والا حد في ظهرك» فقال هلال: والذي بعثك بالحق اني لصادق. ولينزلن الله ما يبرىء ظهري من الحد، فنزل جبريل بهذه الآيات، التي تسمى «آيات اللعان» وبها تقرر حكم القاذف لزوجته ونسخ الحكم الاول المستفاد من العموم.

شروط النسخ

ويشترط في النسخ ثلاثة شروط:

١ — ان يكون الحكم المنسوخ حكما شرعيا، عمليا لا عقليا، وثابتا بنص غير مؤقت ولا مؤبد نصا، وان يكون متقدما في النزول عن الناسخ، وليس كليا.

٢ — أن يكون الناسخ خطابا من الله تعالى، معادلا للمنسوخ في قوة ثبوته ودلالته، أو أعلى، وفي ايجاب العمل، وان يتراخى عن المنسوخ، وان يكون الحكم الذي شرع به متضادا مع الحكم المنسوخ، ومناقضا له، متحدا معه المنسوخ في الجنس. وهذا هو مذهب أحمد والشافعي.

٣ — أن يكون المنسوخ عنه أهلا للتكليف، حتى يرد الخطاب المنسوخ به فيرفع الحكم.

وقد ترتب على هذه الشروط أمور عدة:

• ترتب على الشرط الأول.. انه لا يجوز نسخ الأحكام العقلية، وان رفع البراءة الأصلية عند من يقولون بها لا يعتبر نسخا، لأنه ليس فيه رفع حكم شرعي، كما لا يجوز نسخ الأخبار المحضة، ولا نسخ آيات الوعد والوعيد، لأنها لا تتضمن احكاما عملية من أحكام العبادات، او المعاملات أو الحدود.

وأيضا لا يجوز نسخ الأحكام الشرعية الاعتقادية، لأن أحكام العقيدة لا يتصور فيها توارد الأمر والنهي، في مسألة واحدة، اذ هي ثابتة في جميع الشرائع الالهية، وسبب النسخ لا يعقل فيها سواء أكان هو التدرج في التشريع، أم كان اختلاف المصالح واقتضاؤها احكاما جديدة.

ولا يجوز نسخ الأحكام المؤقتة، التي لها غاية تنتهي بانتهائها، لأنه لا حاجة فيها الى النسخ، وبيان الغاية المجهولة لا يعتبر نسخا للحكم الذي وقّت اليها، لأنه لا يناقضه. ولا يجوز نسخ الحكم المؤبد بالنص، وفيه خلاف، والجمهور على أنه يجوز نسخه.

* — وترتب على الشرط الثاني.. أنه لا نسخ بعد عصر النبي — ﷺ — لأنه العصر الذي كان ينزل فيه الوحي، وتُتلقى فيه عن الرسول السنة، وهما كل ما يصدق عليه خطاب الشارع، فلا سلطة لانسان في نسخ حكم، مهما بلغ علمه ومكانته، إلا الرسول — ﷺ — الذي تجب طاعته، فهو المتلقي لأحكام الله، والمبلّغ لها.

وعلى هذا فلا يكون الاجماع ناسخا، ولا يصلح القياس للنسخ كذلك.

والحكمة من وقوع النسخ في الأحكام الشرعية:

١ — تحقيق مصالح الناس التي هي قصد التشريع، حيث كانت هذه المصالح مختلفة باختلاف الناس، متغيرة بتغير أحوالهم، متبدلة بتبدل الأزمنة، فقد تشرع بعض الأحكام لمصالح اقتضتها أسباب معينة، ثم تزول تلك المصالح، فيكون من المناسب ان ينتهي الحكم، ولا يبقى بعد زوال هذه المصالح.

(٤) الأنبياء/٢٣. (٥) مناهل العرفان/٢/٧٠.
(٦) الحج/٥٢. (٧) البقرة/١٠٦.

(٨) البقرة/١٤٤. (٩) البقرة/١٨٠. (١٠) انظر الاتقان في علوم القرآن ٣/٦٥. (١١) النور/٤.

من أمثلة ذلك: أن جماعة من الأعراب وفدوا على المدينة أيام عيد الأضحى، وكانوا في حاجة الى المواساة والتوسعة عليهم، مما دعا رسول الله ــ ﷺ ــ الى نهي المسلمين عن ادخار لحوم الأضاحي، حتى تجد الوفود فيها توسعة عليهم، فلما عادت الوفود الى بلادها، وارتحلوا عن المدينة، زال سبب النهي، فأباح الرسول ــ ﷺ ــ للمسلمين ان يدخروا لحوم الأضاحي بعد ان كان ممنوعا، وهذا لأن المصلحة اقتضت ذلك. فلذا قال رسول الله ــ ﷺ ــ : «كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحي من أجل الدافة ألا فكلوا وادخروا».

٢ ــ وقد يكون النسخ لرفع الحرج المترتب على الحكم المنسوخ. من ذلك ان الرسول ــ ﷺ ــ نهى عن شرب الخمر أولا، وكان شربها شائعا فيما بينهم، وكان من عاداتهم وضع الأشربة في أوعية مخصوصة، فنهاهم عن شرب الأشربة المباحة في الأوعية، التي كانوا يضعون فيها الخمر سدا للذريعة، وابعادا لهم عن كل ما يجرهم الى الوقوع في المحرم، فشكا بعض المسلمين الى الرسول من ذلك حرجا، وَعَنتا لحقهم من جراء هذا النهي، فأباح لهم الرسول استعمال جميع الأوعية، وقصر النهي على شرب المحرم المسكر، فقال ــ ﷺ : «كنت نهيتكم عن الأشربة في الظروف وان ظرفا لا يحل شيئا ولا يحرمه، فاشربوا فيما شئتم، ولا تشربوا مسكرا».

٣ ــ التدرج في التشريع وعدم مفاجأة من يشرع لهم الحكم بما يشق عليهم فعله، أو يشق عليهم تركه. ومن ذلك:

أ ــ تحريم الرّبا فقد بيَّن الله لهم أولا الفرق بين الربا والزكاة، وأن الأول لا نماء فيه ولا ثمرة له، وأما الزكاة، فهي مقبولة يضاعف الله الثواب لمعطيها، فقال المشرع سبحانه: **﴿وما آتيم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله، وما آتيم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾**[١٢].

ثم بعد ذلك بيَّن ان الرّبا ظلم، وان بسبب ظلم اليهود بأكلهم له، وقد نهوا عنه، حرم الله عليهم طيبات كثيرة كانت حلالا لهم، فقال تعالى: **﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نُهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾**[١٣].

ثم جاء النهي عن تعاطيه، في الصورة القبيحة، التي كانت شائعة لديهم، فقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾**[١٤].

ثم جاء التحريم العام مقرونا بالعذاب الشديد، واعلان الحرب على المرابين، فقال تعالى: **﴿واحلّ الله البيع وحرّم الربا﴾**[١٥].

ب ــ تحريم الخمر.. فلم يشرع تحريمها في ابتداء الاسلام بل بيَّن الله تعالى اولا أن فيها الاثم الكبير وفيها منافع للناس ، ولكن الاثم اكبر من النفع ،وكان هذا كالتمهيد الى التحريم، لأن ما كان ضرره أكبر من نفعه ، يجدر بالعقل ان يجتنبه. وبعد ذلك أمر الله المسلمين ألا يدخلوا الصلاة وهم سكارى، فكان هذا الأمر الثاني طريقا الى التحريم والاجتناب، لأن أوقات الصلاة متعددة ومتفرقة، فلا يأمن المسلمون اذا شربوها أن يأتي وقت الصلاة فيدخلوها وهم سكارى.

ثم جاء بعد ذلك النص الصريح في التحريم، فقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾**[١٦].

أقسام النسخ

لقد اتفق العلماء على أن النسخ أربعة أقسام:

• نسخ القرآن بالقرآن.

وهذا القسم متفق على جوازه، ووقوعه من القائلين بالنسخ، فآية الاعتداد بالحول نسخت بآية الاعتداد بأربعة أشهر وعشرة أيام.

والآية الاولى المنسوخة هي: **﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعا الى الحول غير اخراج﴾**[١٧].

والآية الناسخة لها هي: **﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا﴾**[١٨].

• نسخ السنة بالقرآن.

واجازه جمهور العلماء، فتوجه المصلين الى بيت المقدس كان ثابتا بالسنة، وليس في القرآن ما يدل عليه. وقد نسخ بالقرآن في قوله تعالى: **﴿فولّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾**[١٩] ووجوب صوم يوم عاشوراء كان ثابتا بالسنة، وقد نسخ بقوله عز وجل: **﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾**[٢٠].

• نسخ القرآن بالسنة.

وقد اتفق جمهور العلماء على عدم جواز نسخ القرآن بالسنة الآحادية، لأن القرآن متواتر ويفيد اليقين، والسنة الآحادية تفيد الظن، ولا يصح رفع المعلوم بالمظنون، والمقصود بالمعلوم قطعي الثبوت والمراد بالمظنون: ظني الثبوت.

وقد أجاز مالك وأحمد وأبو حنيفة ــ في رواية ــ نسخ القرآن بالسنة المتواترة. وحجتهم في ذلك بأن الكل وحي، ورسول الله ــ ﷺ ــ لا ينطق عن الهوى.

وقد منعه الشافعي واحمد واهل الظاهر ــ في الرواية الثانية ــ محتجين بقوله تعالى: **﴿ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾**[٢١]. وان السنة ليست خيرا من القرآن ولا مثله.

• نسخ السنة بالسنة.

وينضوي تحت هذا القسم أربعة أنواع:

ــ نسخ متواترة بمتواترة.
ــ نسخ آحاد بآحاد.
ــ نسخ آحاد بمتواترة.
ــ نسخ متواترة بآحاد.

والثلاثة الاولى جائزة، أما النوع الرابع ففيه خلاف، والأصح عدم جوازه.

طرق النسخ

يقرر العلماء ان النسخ قد يكون بتشريع حكم مساو للحكم المنسوخ، أو أخف منه، أو أشق منه، وقد يكون بإلغاء الحكم ورفعه دون تشريع حكم جديد بدله. وأمثلة ذلك كثيرة.

ــ فمثال النسخ بحكم مساو.. نسخ التوجه الى بيت المقدس بالتوجه الى البيت الحرام حيث الكعبة. في قوله تعالى: **﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾**.

ــ مثال النسخ بحكم أخف.. نسخ تحريم الأكل والنكاح في ليالي رمضان، بحل الأكل والوطء الى مطلع الفجر. ويمثلون لذلك بقوله تعالى: **﴿أُحِلَّ لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم﴾**[٢٢] فهي ناسخة لقوله تعالى: **﴿كما كتب على الذين من قبلكم﴾**[٢٣]. لأن مقتضاها الموافقة لما كان عليه السابقون من تحريم الأكل والشرب والوطء، اذا ناموا الى الليلة التالية، كما ذكروا ذلك.

(١٢) الروم/٣٩. (١٣) النساء/١٦٠.
(١٤) آل عمران/١٣٠. (١٥) البقرة/٢٧٥.
(١٦) المائدة/٩٠ (١٧) البقرة/٢٤٠.
(١٨) البقرة/٢٣٤. (١٩) البقرة/١٤٤.
(٢٠) البقرة/١٨٥. (٢١) البقرة/١٠٦.
(٢٢) البقرة/١٨٧. (٢٣) البقرة/١٨٣.

روي عن ابن عمر — رضي الله عنهما — قال: كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم، كتب عليهم اذا صلى احدهم العتمة، أو نام حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى مثلها، فأنزل الله عز وجل: **﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم﴾**.

— ومثال النسخ بحكم أشق.. نسخ اباحة الخمر الى تحريمها.. ونسخ الحبس في البيوت في قوله تعالى: **﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم، فان شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت﴾**[٢٤] بالجلد، في قوله سبحانه **﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾**[٢٥].

— ومثال النسخ بالغاء الحكم بدون تشريع آخر.. كنسخ الصدقة بين يدي نجوى رسول الله — ﷺ — في قوله عز وجل: **﴿يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾**[٢٦].

نسخت بقوله سبحانه: **﴿أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات، فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾**[٢٧].

— وكنسخ نكاح المتعة، الذي كان أباحه الرسول — ﷺ — في بعض الغزوات، ثم حرمه بدون بدل. فقد قال: «يا أيها الناس كنت قد أذنت لكم في الاستمتاع بالنساء وان الله قد حرّم ذلك الى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا.»

أما عن زمن النسخ، فانما يكون النسخ في حياة الرسول — ﷺ — لأنه لا نسخ الا بالوحي وكان الوحي محتمل النزول في حياته، أما بعد وفاته فلا نسخ لأي حكم من الأحكام، لأنه — كما قلنا — لا وحي فلا نسخ، وعلى هذا تكون جميع الأحكام التي استقر العمل عليها في زمن الرسول — ﷺ — ولم يرد عنه ما ينسخها محكمة بعد وفاته، ولا تحتمل النسخ ولا الإبطال. وحيث أنه قام الدليل القاطع على أن الرسول — ﷺ — خاتم الأنبياء، وأنه لا نبي بعده، وأنه آخر الرسل المرسلين، كما نطق بذلك القرآن الكريم، فقال عز شأنه: **﴿ما كان محمد أبا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾**[٢٨]. فتكون الشريعة الاسلامية خاتمة الشرائع السماوية، وباقية الى يوم القيامة.

(٢٤) النساء/١٥. (٢٥) النور/٢. (٢٦) المجادلة/١٢.
(٢٧) المجادلة/١٣. (٢٨) الأحزاب/٤٠.

ومن المهم ان نذكر — ان النسخ يرد على الأحكام الشرعية، والنصوص الشرعية، إلا أنه ليس كل نص ورد في الكتاب أو السنة مما يقبل النسخ، فمن النصوص ما هو محكم لا يقبل النسخ بحال ومن ذلك:

— النصوص التي تضمنت حكما أساسيا، لا تختلف باختلاف أحوال الناس، ولا تختلف حسنا وقبحا باختلاف التقدير، كالنصوص التي تضمنت وجوب الايمان بالله تعالى، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وسائر العقائد ونصوص العبادات.

— النصوص التي قررت أمهات الفضائل، أو دلت على أسس الرذائل، والتي لا تختلف باختلاف الأحوال، ولا باختلاف الأفراد.. كالعدل والصدق واداء الامانات وبر الوالدين ورعايتهما.. وكالشرك بالله، وقتل النفس بغير حق، وعقوق الوالدين، والكذب والظلم.

— النصوص التي تضمنت احكاما شرعية، دلت بصيغتها على التأبيد، كقوله تعالى في بيان حكم قاذفي المحصنات: **﴿ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا﴾** فان تأبيدها يمنع نسخها، لأنها تدل على أن الحكم دائم لا يزول. ومنه قوله، ﷺ : «الجهاد ماض الى يوم القيامة».

— النصوص الدالة على وقائع حدثت، أو التي أخبرت عن حوادث تحققت، كقوله تعالى: **﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾**[٢٩]. وكقوله صلى الله عليه وسلم «نصرت بالرعب مسيرة شهر». ذلك لأن تكذيب النصوص الاخبارية تكذيب للمخبر بها، والكذب على الله محال.

وللعلماء طرق يعرفون بها الناسخ والمنسوخ، منها:

— النقل الصريح عن النبي — ﷺ — أو عن صحابي كحديث: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها».

— اجماع الأمة على أن هذا ناسخ وهذا منسوخ.

— معرفة المتقدم من المتأخر في التاريخ، مع وجود التعارض بين النصين تعارضا لا يمكن معه التوفيق بينهما.

ولا يعتمد في النسخ على الاجتهاد، أو قول المفسرين، أو التعارض الظاهر بين الأدلة، أو تأخر اسلام احد الرواة ، وما أشبه ذلك.

(٢٩) الحاقة/٥ و ٦.

موقف أهل الكتاب من النسخ

بقي ان نشير الى موقف أهل الكتاب من النسخ في القرآن..

— أما اليهود، فيفترقون الى ثلاث فرق: الشمعونية، والعنانية، والعيسوية.

فالشمعونية تقرر ان النسخ لا يجوز عقلا، ولم يقع سمعا.

والعنانية.. ترى انه لا بأس بالنسخ في حكم العقل، لكنه لم يقع.

والعيسوية.. تذهب الى ان النسخ جائز في حكم العقل، وانه قد وقع فعلا، لكنها تمنع ان تكون شريعة محمد ناسخة لشريعة موسى (عليهما الصلاة والسلام) لأن رسالة محمد — كما زعموا — كانت خاصة بالعرب، ولم تكن عامة لجميع الناس.

والظاهر ان انكار النسخ عندهم ليست غاية، بل هي وسيلة، لأن الآية هي إنكار الرسالة المحمدية على الاطلاق. فان اعجزهم ادراك هذه الغاية فلا أقل من انكار أنهم مطالبون بتصديقه واتباعه فيما جاء به.

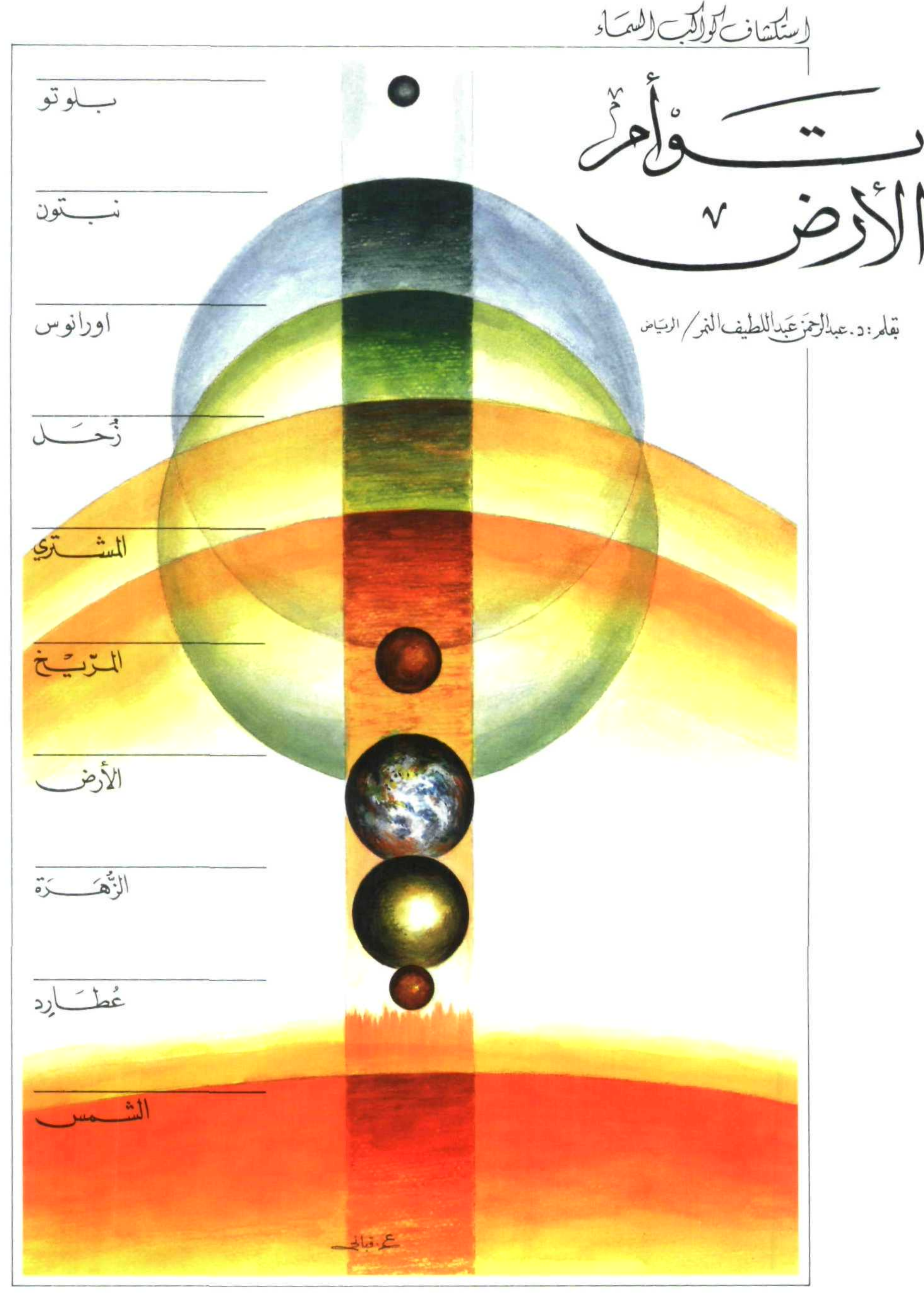
— وأما النصارى، فقد أنكروا جواز النسخ عقلا، وانكروا وقوعه، ليصلوا من هذا الانكار الى غاية حرصوا على تحقيقها — وهي بقاء دينهم الى جانب الاسلام، بحجة ان شريعة ما — لا تنسخ بشريعة، وأن أحكاما في شريعة، لا تنسخ بأحكام في شريعة أخرى بعدها.

وحيث أن الواقع التاريخي يؤكد وقوع النسخ سمعا، والمنطق السليم يقرر جوازه عقلا، لأنه لا يترتب على وقوعه محال، لهذا قال اكثر المسلمين وجمهورهم بجواز النسخ ووقوعه. فقد قرر القرآن انه كتاب الله، ودعوته الى الناس جميعا، وأن على كل إنسان أن يؤمن به، ويتبع ما جاء فيه. وهذا النسخ بمعناه العام «نسخ شريعة لشريعة سابقة». كذلك سجل تاريخ الشريعة الاسلامية احكاما نسخت أحكاما سابقة عليها، فأضاف الى النسخ بمعناه العام: نوعا آخر من النسخ، هو النسخ لحكم شريعة واحدة.

وقد مضى هذا الأمر منذ عهد النبوة، فلم يشك أحد في أن بعض الأحكام الجزئية العملية التي شرعها الاسلام، قد نسختها أحكام أخرى في موضوعها، وكان كل من الحكمين الناسخ ثم المنسوخ هو الحق في زمانه، وبشرعه نيطت مصلحة أو مصالح تحققت بالعمل به طالما كان قائما□

توأم الأرض

بقلم: د. عبدالرحمن عبداللطيف النمر / الرياض



عنزا

قلَّب الانسان القديم نظره في السماء فرأى الكواكب والنجوم، عدَّها آلهة، فأطلق عليها أسماء الآلهة التي كان يعبدها من دون الله! فسمَّى كوكب «المريخ» باسم إله الحرب «مارس» اذ يبدو الكوكب احمر اللون بلون الدم، وسمَّى كوكب «الزهرة» باسم آلهة الحب «فينوس» لأن الكوكب يبدو متألقا في كبد السماء في جمال يغري بالحب!

وحينما بدأ انسان القرن العشرين رحلته لاستكشاف كواكب السماء، أبقى على الأسماء القديمة فلم يُعِرْها كبير التفات، وكأنما انصرف عن مدلولات الألفاظ الى حقيقة الأشياء! وان كانت الأسماء بقيت على ما هي عليه، فان معرفة الانسان بالكواكب والنجوم تغيرت كثيرا، وتحولت من قداسة التسمية الى جلاء الحقيقة.

وقد تعددت رحلات الانسان الى الكواكب القريبة من الأرض. ولكننا سنقف عند كوكب «الزهرة» لننظر ماذا عرف الانسان عن هذا الكوكب المتألق، وما هي المعرفة التي جناها من رحلاته اليه.

الرادار الفلكي

من بين كواكب المجموعة الشمسية التسعة، فان كوكب الزهرة «فينوس» هو الأقرب الى الأرض، اذ يبعد عنها مسافة تزيد على واحد واربعين مليون كيلومتر «٤١ ٤٠٠ ٠٠٠ كم = ٢٥ ٧٠٩ ٠٠٠ ميل». وتحيط بالكوكب سحب كثيفة صفراء اللون، مكونة من حامض الكبريتيك «يد$_2$كب أ$_4$» وغاز ثاني أكسيد الكربون «ك أ$_2$». وقد حالت السحب الكثيفة المحيطة بالكوكب دون رؤيته بالمجاهر بعيدة المدى، من على سطح الأرض. (المجهر بعيد المدى يسمى كذلك «تليسكوب — Telescope»). وتعليل ذلك هو ان استخدام المجهر لرصد الكواكب البعيدة يعتمد على استقبال الضوء المنعكس من على سطح الكوكب. ولما كان الضوء لا يستطيع اختراق السحب الكثيفة المحيطة بكوكب الزهرة، فانه بالتالي لا ينعكس من على سطح الكوكب، لذا فقد تعذرت رؤية الكوكب باستخدام المجاهر الضوئية.

على أن موجات الراديو، وهي واحدة من مجموعة الموجات الكهرومغناطيسية «أي الكهربائية المغناطيسية»، يمكنها اختراق السحب مهما بلغت كثافتها. وقد نبتت فكرة استخدام موجات الراديو لكشف الأجسام البعيدة، في رأس المخترع الألماني «كريستيان هولزماير — Christian Hulsmeyer». وكان ذلك في سنة ١٩٠٤م.

وبحلول سنة ١٩٦٠م، كانت أجهزة الرادار قد وجدت مكانها في حقول عديدة. ولكنها جميعا تشترك في قاسم مشترك واحد، وهو استخدام موجات الراديو لاستكشاف الأجسام البعيدة. ونظرا لتطور الأجهزة وتقدمها في تلك السنة، فقد اتجه التفكير الى استخدام الرادار لرصد كواكب السماء. وقد اقتضى ذلك انشاء محطة رادار ضخمة، يمكنها إرسال موجات الراديو عبر المسافات الهائلة الفاصلة بين الأرض والكواكب الأخرى، ثم استقبال الصدى المرتد عن سطوح تلك الكواكب.

وفي سنة ١٩٦١م، تم بناء مرصد راداري ضخم، في مرتفعات «بورتو ريكو»، أطلق عليه اسم «آريسيبو — Arecibo» وهذا المرصد ليس إلاَّ وحدة رادار ضخمة. إذ يبلغ قطر الهوائي المستخدم فيه — وهو على شكل صحن مستدير — ثلاثمائة وخمسة أمتار. وقد استخدم هذا الجهاز لرصد كوكب الزهرة بموجات الراديو «الرادار» في سنة ١٩٦٢م. وظهر من النتائج الأولية أن الكوكب يدور ببطء شديد حول نفسه، فيكمل دورة واحدة كل مائتين وثلاثة وخمسين يوما من أيام الأرض. والغريب هنا أن الكوكب يدور حول الشمس من الشرق الى الغرب، وليس من الغرب الى الشرق كما تفعل الأرض في دورانها حول الشمس!

مجسَّات الفضاء

على الرغم من الجهد الكبير الذي بذل لانشاء المرصد الفلكي الراداري، فانه لم يعد بالنتائج المرجوة منه. فدوران الكوكب ببطء شديد حول نفسه، لم يمكن الفلكيين من متابعته بالرادار بالسرعة المطلوبة. إضافة الى أنه لا يمكن دراسة الظروف المناخية ولا التضاريس الجغرافية على سطح كوكب الزهرة باستخدام الرادار!

كيف الحل ؟! جاء الحل في «مجسّات الفضاء — Space Probes»، وهي أجهزة شبيهة بالأقمار الصناعية، تطلق الى الفضاء وعليها أجهزة متخصصة لدراسة الظواهر الطبيعية لكوكب ما. وقد أطلقت الولايات المتحدة أول «مجس فضائي» في الرابع عشر من ديسمبر (كانون أول) سنة ١٩٦٢م، تحت اسم «مارينر ٢ — Mariner 2».

حلق «مارينر ٢» فوق كوكب الزهرة على ارتفاع خمسة وثلاثين الف كيلومتر، وقامت الأجهزة الموجودة فيه بقياس درجة الحرارة على سطح الكوكب فكانت اربعمائة وسبعين درجة مئوية (٤٧٠° م)! وقد حاول الاتحاد السوفييتي إنزال مجسّات فضائية بالمظلات على سطح كوكب الزهرة. وكانت المجسّات تحمل اسم «فينوس ٤، ٥، ٦» على التوالي. بيد ان المجسّات الثلاثة احترقت أثناء اختراقها الغلاف الجوي المحيط بكوكب الزهرة.

وفي سنة ١٩٧٠م، نجح الاتحاد السوفييتي في إنزال مجسّ الفضاء«فينوس ٧» على سطح الزهرة وكرر المحاولة بنجاح في سنة ١٩٧٢م، حين أمكن إنزال مجسّ الفضاء «فينوس ٨»

مظلما على سطح الكوكب. ومن المعلومات التي أمكن جمعها من هاتين المحاولتين اتضح ان الضغط الجوي على سطح كوكب الزهرة يبلغ تسعين ضعفا للضغط الجوي على سطح الأرض!

ثم عادت الولايات المتحدة الى الحلبة في فبراير «شباط» سنة ١٩٧٤م، حين أطلقت مجسّ الفضاء «مارينر ١٠» الى كوكب «عطارد — Mercury». وبينما كان المجسّ الفضائي فوق الزهرة، إلتقط مجموعة من الصور بآلات تصوير خاصة تعمل بالأشعة تحت الحمراء. ومن خلال هذه الصور، أمكن الوقوف على أن السحب الكثيفة المحيطة بالزهرة تدور حول الكوكب ستين مرة، في الوقت الذي يكون فيه الكوكب قد دار حول نفسه مرة واحدة! علماً بأن كوكب «عطارد» هو أقرب الكواكب الى الشمس، تليه الزهرة ثم الأرض.

وفي سنة ١٩٧٥م، أحرز السوفييت نجاحا كبيرا بانزال مجس الفضاء «فينوس-٩» على سطح الزهرة، خصيصا لأجل تصوير سطح الكوكب. وكانت هذه الصور الاولى من نوعها التي أمكن التقاطها لسطح كوكب الزهرة.

وفي سنة ١٩٧٨م، أطلقت الولايات المتحدة الامريكية بعثة فضائية استكشافية الى الزهرة، اختارت لها اسم «الرائد — Pioneer». وقد تكونت البعثة من مركبتي فضاء، احداهما حملت أربعة مجسّات فضائية، والأخرى كانت «مجسّا مداريا — Orbiter» أي يدور حول الكوكب في مدار معين.

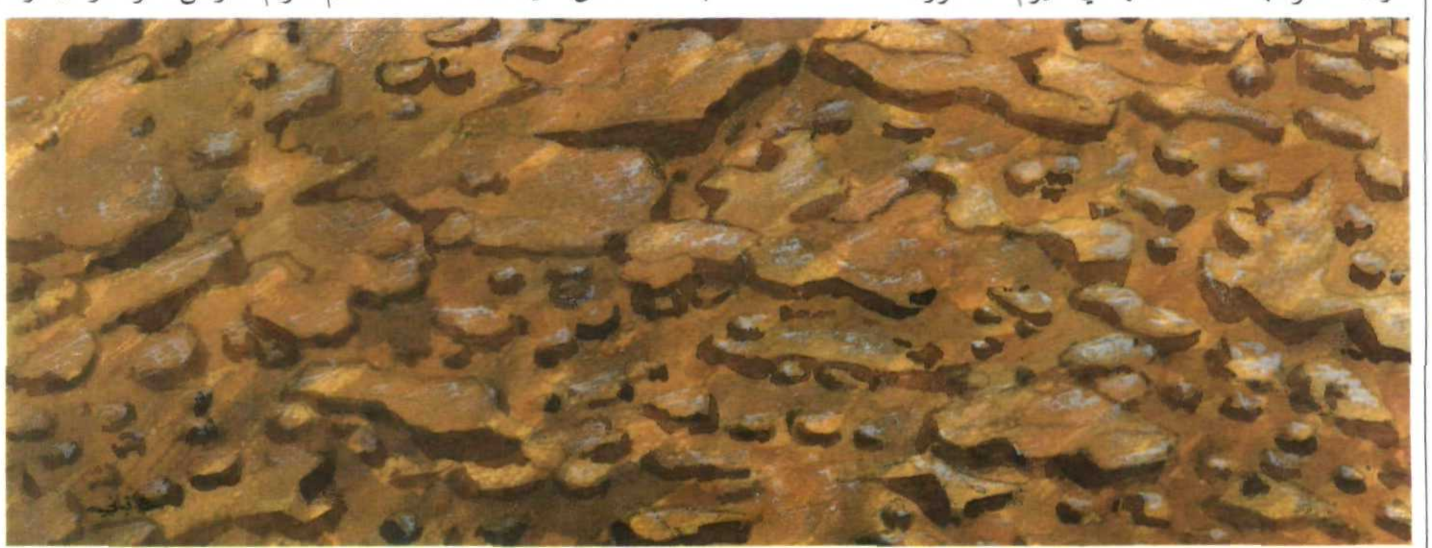
وعندما اقتربت المركبة الفضائية الاولى، من سطح كوكب الزهرة، في الرابع من ديسمبر سنة ١٩٧٨م، انفصلت عنها المجسّات الأربعة وهبطت في مناطق مختلفة على سطح الكوكب. والهدف من هذه المجسّات هو دراسة الأحوال المناخية والغلاف الجوي لكوكب الزهرة. أما المركبة الفضائية الثانية، وهي مجسّ مداري، فما تزال تدور حول الكوكب منذ اطلاقها في اليوم المذكور.

توأم الأرض

معظم المعلومات المتوفرة اليوم عن كوكب الزهرة هي حصيلة البعثة الاستكشافية «الرائد». ومن هذه المعلومات ان كوكب الزهرة كامل الاستدارة، على عكس الأرض التي تأخذ شكل دحية (بيضة). ومعظم سطح كوكب الزهرة مكون من اراض منبسطة، اذ تشغل ستين في المائة من مساحة السطح. بينما لا تزيد الأحواض المنخفضة على ست عشرة في المائة من مساحة السطح. وهناك منطقتان جبليتان على سطح كوكب الزهرة. احداهما قريبة من جنوب الكوكب اطلق عليها اسم «ألفا». وفي وسط جبال الجنوب يوجد منخفض دائري كبير، أطلق عليه اسم «ايف». وقد اختير منخفض «ايف — Eve» ليكون موضع خط الطول صفر على سطح الزهرة «على غرار خط جرينتش، أو خط الطول صفر، على سطح الأرض». أي أن خط الطول صفر على سطح كوكب الزهرة يمر بمركز المنخفض «ايف»، كما يمر خط الطول صفر على سطح الأرض بمركز منطقة جرينتش — Greenwich» في بريطانيا.

أما المنطقة الجبلية الثانية فقد أطلق عليها اسم «بيتا». «الفا وبيتا هما الحرفان الاول والثاني من الابجدية اللاتينية، ويقابلان الحرفين «أ»، «ب» في الأبجدية العربية أو الانجليزية». وتتكون جبال «بيتا» من مرتفعين كلاهما على شكل مخروط، تبلغ قمة احدهما ارتفاع خمسة آلاف متر. وتفصل بين المرتفعين منطقة منخفضة يعتقد أنها فوهة بركان! وعند شمال الكوكب، يوجد كذلك مرتفع، أطلق عليه اسم «ماكسويل»، تخليدا لذكرى عالم الفيزياء الاسكتلندي «جيمس كلارك ماكسويل — James Clerk Maxwell»، الذي تنبأ بوجود موجات الراديو من خلال نظريته عن الكهربية المغناطيسية.

ونظرا لأن كوكب الزهرة مماثل للأرض في الحجم فقد أطلق عليه علماء الفلك اسم «توأم الأرض». وكانوا يظنون



رسم من صورة لجزء من سطح الزهرة أُخذت على مسافة ٣٥ ألف كيلومتر.

أنه مكون من قارات ومحيطات، كما هي الحال على سطح الأرض. لكن المعلومات التي جلبتها مجسات الفضاء بددت تلك الظنون، حين أظهرت الطبيعة الجغرافية لسطح كوكب الزهرة ــ والتي سلف بيانها ــ وأن كوكب الزهرة ليس فيه محيطات ولا أي تكوينات مائية!

ويبدو ان الاختلافات بين التوأمين أكبر بكثير مما توقع علماء الفلك! ففضلا عما سبق الكلام عنه من أوجه الاختلاف، فان الغلاف الجوي المحيط بكوكب الزهرة يختلف تماما عن الغلاف الجوي المحيط بالأرض. فبينما يتكون الغلاف الجوي للأرض من واحد وعشرين في المائة من غاز الاكسجين، وثمان وسبعين في المائة من غاز النيتروجين، ومقادير ضئيلة من غاز الارجون وبخار الماء وغاز ثاني اكسيد الكربون، فان الغلاف الجوي المحيط بكوكب الزهرة يتكون من ست وتسعين في المائة من غاز ثاني اكسيد الكربون.

رسم من صورة لكوكب الزهرة كما يبدو من الفضاء.

أما الأربع في المائة الباقية فتتكون في معظمها من غاز النيتروجين. وهناك مقادير ضئيلة من بخار الماء وغاز الارجون وغاز ثاني اكسيد الكبريت. ولا يكاد يكون هناك أي مقدار من غاز الاكسجين «في هيئة الحرة الصالحة للتنفس» في الغلاف الجوي لكوكب الزهرة.

وفي طبقات الجو العليا حول كوكب الزهرة، يتحد بخار الماء مع غازات الكبريت مكونا حامض الكبريتيك، وهذه الطبقة من الهواء التي يتكون فيها الحامض، والتي يبلغ سمكها ثلاثة كيلومترات هي الطبقة الخارجية من الغلاف الجوي المحيط بكوكب الزهرة. ولون الحامض الأصفر هو السبب في ظهور كوكب الزهرة كقرص ذهبي في السماء!

وعلى الرغم من أن كثافة الغلاف الجوي المحيط بالزهرة تؤدي الى ارتداد ثمانين في المائة من الطاقة الشمسية الواصلة الى الكوكب، مما قد يعني ان تكون درجة حرارته شديدة البرودة، فان الغلاف الجوي السميك نفسه يعمل كطبقة عازلة فيمسك الحرارة الواصلة الى الكوكب، ويمنع انعكاسها الى الفضاء ــ كما هي الحال مع الأرض! وهذا هو السبب في أن درجة الحرارة على سطحه أعلى من درجة انصهار الرصاص (٤٧٠°م).

وخلاصة ما تقدم، ان عشرين عاما من الاستكشاف لكوكب الزهرة أظهرت أنه توأم للأرض من حيث الحجم. فالكوكب يدور حول الشمس في عكس اتجاه دوران الأرض ــ أي من الشرق الى الغرب، واليوم على سطحه يساوي مائتين وثلاثة وخمسين من أيام الأرض! ولا يوجد على سطح الكوكب قطرة ماء، فضلا عن أن هواءه غير صالح للتنفس! وقبل كل هذا وبعده فان درجة الحرارة على سطحه تكفي لاذابة الحديد فكيف بالأحياء!

والحقيقة التي نخلص اليها من ذلك كله ان الله عز وجل سخَّر الأرض لحياة الانسان وجعل ظروفها وجوها وتربتها وسائر ما فيها مواتيا للحياة. وفي الذكر الحكيم آيات كريمات تنبه على ذلك، وتحث الانسان على التدبر والتفكر في ابداع خلق الله وفي جمال الصنعة واحكام الخلقة. من ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿**الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء**﴾ (غافر ــ ٦٤)، و ﴿**الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا**﴾ (الزخرف ــ ١٠)، و ﴿**والأرض وضعها للأنام**﴾ (الرحمن ــ ١٠)، و ﴿**والله جعل لكم الأرض بساطا**﴾ (نوح ــ ١٩) وقوله تبارك وتعالى: ﴿**هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى الى السماء**﴾ (البقرة ــ ٢٩).

وعسى أن تكون المقارنة التي عقدناها بين الأرض وكوكب الزهرة تحقيقا لقول الله تبارك وتعالى: ﴿**قل انظروا ماذا في السماوات والأرض**﴾ (يونس ــ ١٠) لتستبين لكل ذي لب آيات الله سبحانه وتعالى في خلقه□



بقلم: الأستاذ منذر الشعار / الكويت



أثنى الله تبارك وتعالى على اللغة العربية في غير موضع من كتابه العظيم، فقال في سورة النحل (١٠٣): ﴿**ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر، لسان الذي يلحدون اليه أعجمي، وهذا لسان عربي مبين**﴾. وقال جل وعلا: ﴿**نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين**﴾ (الشعراء — ١٩٢ — ١٩٤) وقال عز اسمه: ﴿**قرآنا عربيا**﴾ في ستة مواضع من «القرآن الكريم»، وقال: ﴿**حكما عربيا**﴾، و ﴿**لسانا عربيا**﴾، وقال في سورة الأنبياء (١٠): ﴿**لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون**﴾[1]. فمنَّ على العرب متلطفا، سبحانه، اليهم ان هذا القرآن فيه مجد العرب وتخليدهم في العالمين، فما لهم عنه معرضين. وان انزال أعظم كتب الله بلسان العرب فيه أعظم الثناء على هذا اللسان وتمجيد هذه اللغة العربية التي ما يبلغ زهو امرىء في العالمين بمكرمة كزهو العربي انه يتكلم بها وانه من أهلها.

وكثناء الله تعالى على لغة العرب اثنى عليها رسوله، ﷺ، ففي الحديث انه، صلى الله عليه وسلم، بينما هو جالس ذات يوم مع أصحابه اذ نشأت سحابة، فقالوا: «يا رسول الله، هذه سحابة، فقال.. كيف ترون قواعدها، أي اسافلها، قالوا: ما أحسنها وأشد تمكنها. قال: وكيف ترون رحاها، أي وسطها، قالوا: ما أحسنها وأشد استدارتها، قال وكيف ترون بواسقها، أعاليها، قالوا ما أحسنها وأشد استقامتها، قال وكيف ترون برقها، أوميضا أم خفيا أم يشق شقا؟ قالوا: بل يشق شقا. قال: فكيف ترون جوفها، أي قسمها الأسود، قالوا: ما أحسنه وأشد سواده، فقال عليه الصلاة والسلام: الحيا»، (أي أبشروا بالمطر). فقالوا: «يا رسول الله ما رأينا الذي هو أفصح منك: قال: وما يمنعني من ذلك، وإنما أنزل القرآن بلساني: «لسان عربي مبين»[2].

وعلى مرور أجيال العرب وقع الثناء من أعلامهم ورجالاتهم وعلمائهم عليها، كما ذكر أبو

(١) وفي الزخرف/٤٤ (وانه لذكر لك ولقومك).

(٢) «تاريخ آداب العرب» للرافعي ج ٢/ص/٣١٧—٣١٧.

حيان التوحيدي في كتابه «المقابسات» عبارة استاذه أبي حاتم السجستاني في مدح العربية وهي: «فعلى ما ظهر لنا، وخُيِّل الينا لم نجد لغة كالعربية، وذلك لأنها أوسع مناهج، وألطف مخارج، وأعلى مدارج، وحروفها أتم، وأسماؤها أعظم، ومعانيها أوغل. ومعاريفها أشمل، ولها هذا النحو الذي حصتها منه حصة المنطق من العقل، وهذه خاصة ما حازتها لغة على ما قرع آذاننا وصحب أذهاننا من كلام اجناس الناس».

وكان أبو عمرو بن العلاء، شيخ العربية يقول: الا ان العربية هي الدين. وهذا ثناء من ثناء الله عليها، وهذا وسامها الأكبر، وأن من رفع العربية فالدين رفع، ومن أقبل عليها فعلى أي شيء إلا على الاسلام أقبل.

وان من رفيع الثناءات على العربية قول أبي الخطاب ابن دِحْيَة الجامع: «اعلم أن الله تعالى لما وضع رسوله، ﷺ، موضع البلاغة من وحيه، ونصبه منصب البيان لدينه، اختار له من اللغات أعربها، ومن الألسن أفصحها وأبينها؛ ثم أمده بجوامع الكلم».[٣]

ومن هذا ما يروى عن أبي هاشم عبدالسلام الجُبَّائي - وهو من أئمة المعتزلة — أنه كان يأخذ النحو عن المبرد، قيل: وكان في المبرد سخف، فقيل لأبي هاشم: كيف تتحمل سخف الرجل؟ فقال: احتمال سخفه ولا الجهل بالعربية.[٤]

ولم يُثْنِ على العربية العرب فقط، لكن المنصفين الفهمين من علماء الغرب اليوم اثنوا عليها وادركوا سحرها، فتقول الدكتورة حنة ماري شيمل، المستشرقة الالمانية، في مقدمة ممتعة صنعتها على ترجمة القرآن الكريم الى الالمانية: «اللغة العربية لغة موسيقية للغاية، ولا أستطيع أن أقول فيها إلا أنها لا بد ان تكون لغة الجنة».[٥]

ويقول العالم الفرنسي (مارسي) في مجلة التعليم الفرنسية سنة ١٩٣٠ — ١٩٣١: «من السهل جدا تعلم أصول اللغة العربية، فقواعدها التي تظهر معقدة لأول نظرة هي قياسية ومضبوطة بشكل عجيب يكاد لا يصدق، فذو الذهن المتوسط يستطيع تحصيلها بأشهر قليلة، وبجهد معتدل، إن الفعل العربي هو لعبة أطفال اذا ما قيس بالفعل اليوناني، او بالفعل الفرنسي، فليس هناك صعوبة بالاشتقاق، أما النحو فسهل، لا تعقيد فيه مطلقا.»[٦]

(٣ — ٤) مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق — كانون الثاني ١٩٦٩، وفي الباب قول أبي الريحان البيروني: أن أُهجَى بالعربية أحب اليّ من أن أُمدح بالفارسية».
(٥ — ٦) المرجع السابق.

واللغة العربية أم اللغات أي أعلاها وأشرفها. ومدار عظمتها على البيان أي التعبير. فان التعبير بها فيه العنصران الأعظمان: الصواب، والجمال، أما في القرآن فصفة البيان هي الاعجاز.

وسأعرض هنا بعض روائع العربية في مجالها كافة، ففي القرآن الكريم، في سورة هود قوله تعالى: **﴿ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام..﴾** الآية[٧]

فَلِمَ قالت الملائكة «سلاما» بالنصب، وقال سيدنا ابراهيم عليه السلام «سلام» بالرفع؟ الجواب عند «ابن السمين» حيث يقول وهو يذكر في سورة الفاتحة الشريفة قراءتي: «الحمد لله» بالرفع، و «الحمد لله» بالفتح: «..وقراءة الرفع أمكن وأبلغ من قراءة النصب، لأن الرفع في باب المصادر التي أصلها النيابة عن أفعالها يدل على الثبوت والاستقرار، بخلاف النصب فانه يدل على التجدد والحدوث، ولذلك قال العلماء: ان جواب خليل الرحمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى حكاية عنه: «قال سلام» احسن من قول الملائكة: **«قالوا سلاما»** امتثالا لقوله تعالى: **﴿فحيوا بأحسن منها﴾**[٨]

فتمدح ما شئت بلغة تتضمن الحركة الاعرابية فيها كلاما كثيرا، وتغني عن أن يقال في التسليم: مرحبا فيجاب بمرحبا واهلا. أو أن يقول المسلم: السلام عليكم فيرد عليه: عليكم السلام ورحمة الله. وهذا هنا هو الحكاية لا الواقع، وما في لغات الأرض شيء مثل هذا، فتبارك الله منزّل القرآن وجاعل العربية أم اللغات.

وفي الحديث الشريف بلاغة وعلو يبين عظمة هذه اللغة ايضا، كما جرى في القبطية التي جاءت لرسول الله، ﷺ، من مصر، وهي ثوب من ثياب مصر رقيقة بيضاء، فكساها رسول الله، ﷺ، اسامة بن زيد، رضي الله عنهما، فكساها اسامة زوجه، فقال له رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حينئذ: «أخاف ان تصف حجم عظامها». قال الشريف الرضي في شرح هذه الكلمة: «وهذه استعارة، والمراد ان القبطية برقتها تلصق بالجسم، فتبين حجم الثديين، والرادفتين، وما يشتد من لحم العضدين والفخذين، فيعرف الناظر اليها مقادير هذه الأعضاء حتى تكون كالظاهرة للحظة، والممكنة للمسه، فجعلها عليه الصلاة والسلام لهذه المحال كالواصفة لما خلقها، والمخبرة عما استتر بها، وهذه من احسن العبارات عن هذا المعنى، ولهذا الغرض رمى عمر بن الخطاب في قوله: اياكم ولبس القباطي، فانها إلا تشف تصف، فكان رسول الله، ﷺ، ابا عذرة هذا المعنى، ومن تبعه فانما سلك فجه».[٩]

(٧) وفي الذاريات الآية/٢٥ مثلها.
(٨) النساء — ٨٦، والنص من كتاب ابن السمين «الدر المصون» وهو مخطوط بالمكتبة الاحمدية في حلب.

ومن بيانات النبي، ﷺ، في هذه اللغة الراقية، قوله: **«ان مما ينبت الربيع ما يَقْتُلُ حبطا او يُلِم».**

وفي اللسان: الحبط: ان تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ولا يخرج عنها ما فيها، وفيه: او يلم، قال ابوعبيد: معناه: يقرب من القتل».

قال الأزهري: فأما قوله، ﷺ، وان مما ينبت الربيع... فهو مثل الحريص والمفرط في الجمع والمنع، وذلك أن الربيع ينبت احرار العشب التي تحلو اليها الماشية فتستكثر منها حتى تنتفخ بطونها وتهلك، كذلك الذي يجمع الدنيا ويحرص عليها ويشح على ما جمع حتى يمنع ذا الحق حقه ومنها يهلك في الآخرة بدخول النار واستيجاب العذاب.[١٠]

فانظر هذا الأسلوب الراقي في الخطاب، وكيف توجه الحديث ظاهرا الى العشب والماشية والحقول وهو في الحقيقة للناس الذين ينهمكون في جمع الدنيا لاهين عن الآخرة، فيهلكون أو يكادون.

وان العرب على امتداد عصورهم كانت تعبيراتهم تيجان لغتهم الرائعة، وما ظنك بشعراء عشاق اذا تغزلوا بحبائبهم الحسان تغزلوا بأحاديثهن الجميلة البليغة، كقول بشار بن برد:

وحديث كأنه قطع الرو
ض ففيه الصفراء والبيضاء

وقوله في موضع آخر:

وكأن رجع حديثها
قطع الرياض كسين زهرا
وكأن تحت لسانها
هاروت ينفث فيه سحرا

ولولا انهن يتحدثن بالعربية ما كان لأحاديثهن هذا الرونق، الذي كان حسنهن المادي قليلا أمام حسنهن المعنوي الأدبي.

(٩) عن«وحي القلم»للرافعي ج ٣/ص/٢٣.
(١٠)«اللسان واعجاز القرآن»للباقلاني ص/١٠٣.

وفي الأغاني بسنده الى محمد بن وهيب الشاعر قال: جلست بالبصرة الى جنب عطّار، فاذا اعرابية سوداء قد جاءت فاشترت من العطار خلوقا (اي عطرا نفيسا)، فقلت: تجدها اشترته لابنتها وما ابنتها الا خنفساء، فالتفتت الي متضاحكة وقالت: لا والله، الا مهاة جيداء، ان قامت فقناة، وان قعدت فحصاة، وان مشت فقطاة، اسفلها كثيب، واعلاها قضيب، لا كفتياتكم اللواتي تسمنونهن بالفَتُوت![11]

فيا له من بيان عذب، في لغة شريفة جميلة مسعفة. من عجوز اعرابية سليمة الفطرة، صحيحة النحيزة، ولينظر الى كلامها هذا الذي قالته بديهة وارتجالا، في الرد على من عاب ابنتها، ولينظر الى هذه الـ (إلاّ) في أول كلامها.. بعد تمهيد القسم، فانه لا يوجد (الا) أحكم منها وأحلى موقعا منها، وههنا محذوف، والتقدير: ما بنتي إلا مهاة جيداء... ولكن العرب يحذفون فيكون حذفهم أدبا، ويثبتون فيكون اثباتهم أدبا، ثم لينظر الى تفصيل محاسن ابنتها الخَلْقِيّة، في هذا النسق العربي الرائع:

ان قامت فقناة
وان قعدت فحصاة
وان مشت فقطاة

تريد حسن قوامها، واجتماع خَلْقها ولين عظامها، ونبل مشيتها وجمالها. اذ القطاة عند العرب تضرب مثلا لشيئين: فيقال: اهدى من قطاة، لأنها قوية الاستدلال الى الماء، والهداية اليه، ويقال: أصدق من قطاة، للغرض نفسه، مع رفع خُلُقي قليل، فحين وسمت الاعرابية ابنتها بالقطوية رمت الى هذا الارتفاع الخلقي وانها لا تمشي — مع حسن مشيتها — الا الى هدى وصدق. ثم قالت تلك الكلمة التي أصبحت بعدها مثلا في رسم جمال نساء العرب: وان المرأة منهن كالقضيب وكالكثيب معا، فهي نحيفة عجزاء. ثم عابت على الحضري نساءهم وأنهن يأكلن كثيرا هذا الخبز المفتوت فتفسد اجسامهن وتختل عناصر حسنهن، فلسن كفتيات الأعراب اللواتي هن في «ريجيم» طبيعي خلاب. ان تلك الاعرابية السوداء كانت بليغة، ومن بواعث بلاغتها أنها في بحبوحة لغة جميلة، تسعف وتمد، وتحلي وتزين، كقطع الذهب والجوهر حيثما وضعتها كانت جمالا ونفاسة وسرورا.

(١١) «خزانة الأدب» للبغدادي ج ١ ص/٢١٩.

ومن روائع العربية بيت المسيَّب بن عَلَس:

نظرَتْ اليك بعين جازيةٍ
في ظل فاردةٍ من السِّدْرِ

وهو بيت في الغزل، يصف امرأة حسناء تنظر، فشبهها ناظرة بالمهاة، وهي الغزالة بحجم البقرة، وهذه المهاة كانت تحت شجرة سدر مفردة في الصحراء.

قال ابن الاعرابي في شرح هذا البيت في أحد مجالس ثعلب: يقول الشاعر ان المهاة قد جَزَأَتْ بالرَّطْب عن الماء، أي هي في فلاة ليس فيها ماء فتكتفي بأن ترعى العشب الرطب فتستغني بالرطب عن الماء، فقد سمنت وحسنت (يعني ابن الاعرابي ان عدم شرب المهاة الماء ورعيها العشب قد حفظ صحتها، فبانت محاسنها). وفي ظل فاردة: اي ليست في سدر كثير فيسترها فلا يتأمل حسنها، ولا بارزة فتخلو من الكِنّ.

قال ثعلب: فاستحسنا قوله. (اي شرح ابن الاعرابي للبيت، وقال غير ابن الاعرابي والجازية: العطش، والمهاة او الظبية أجمل ما تكون اذا كانت كذلك[12].

فلينظر الى هذه الصورة التي رسمها الشاعر، وكيف حسن شبه الحسناء بالمهاة جعل المهاة هذه في لوحة رائعة، جعلها غاية في الجمال وتحت ظل شجرة مفردة من السدر، ولم يجعلها في شجر كثيف، فتغطي الظلال الجمال، ولم يجعلها بلا شجر اصلا فيُفْقِد الصورة عنصرا رائعا من الجمال، فالغزالة في صورة جميلة، وهي أجمل اذا كانت تحت شجرة. ان شعراء العربية بلغاء رائعون، يعرفون ماذا يقولون، ولا ينظمون الشعر عبثا ولهوا وفوضى، انهم في الحكمة والاحكام باستمرار.

والبيان العربي يسير مع العرب مرافقا، ففي هذا العصر بلاغة ايضا وعربية عالية، ولا يجوز غير هذا، فما دام القرآن هو المعتَصَم فان الأدب الزاكي هو المغتَنَم، ونَجَمَ في هذا العصر شعراء وكتّاب نثّار لهم لوامع بلاغة، وأشرقت العربية على قرائحهم وأقلامهم إشراقا، هذا احمد شوقي يقول في قصيدته «مصاير الأيام» هذه الأبيات الخلابة، وهو يتحدث عن تلاميذ المدارس الصغار ساعين في الصباح الى مدارسهم:

(١٢) «المجالس» ص/١٠٣.

وتلك الأواعي بأيمانهم
حقائب فيها الغد المختبي
ففيها اللواء وفيها المنار
وفيها التبيع وفيها النبي
وفيها الذي ان يمت لا يعدَّ
من الناس او يمض لا يحسب
وفيها المؤخر خلف الزحام
وفيها المقدم في الموكب[13]

ومن الكتّاب «سامي السراج»، وكان كاتبا سياسيا في مطلع هذا القرن في صحف مصر والشام والعراق، لكنه كان يتأنق في تعبيره ويجعله عربيا جميلا، فيقول في وصف نفسه وقلمه المكرس للقضايا القومية: «يمسك قلما غضبا يعرف متى يكِف، ولا يعرف متى يكُف، ويملك لسانا ذربا يطوي القذف في غلالة وصف»[14].

وهذا مصطفى صادق الرافعي يقول في وصف العرب المسلمين حين خرجوا من جزيرتهم على صهوات خيولهم يفتحون العالم ويصلحونه ويخرجونه من الضلال الى الهدى: «ويخيطون جوانب العالم الممزق بإبر من الأسنة، وراءها خيوط من الأعنة»[15].

إنّه ليس الا في العربية، روعة الاسلوب هذا، ومراعاة النظير هذه، وما في هذا البناء من ذكاء ورواء. والعربية ماضية في عبقريتها، رغم كيد اعدائها لدحضها وتأخيرها، ولها في كل عصر العلو على غيرها، ونقط العروس التي لا يستحقها سواها، والثبات الكبير الراسخ امام مؤامرات مبغضيها من أهل الشُّبه والمضلة، ولقد أشار «بدر الدين الحامد» الى كثير من ذلك في صيحته الشعرية في أواخر الستينات:

ايضيع التراث من لغة القر
آن بين التسهيل والتحسين
اسفي يا شباب للغادة العر
باء عمدا تمنى بقطع الوتين[16] □

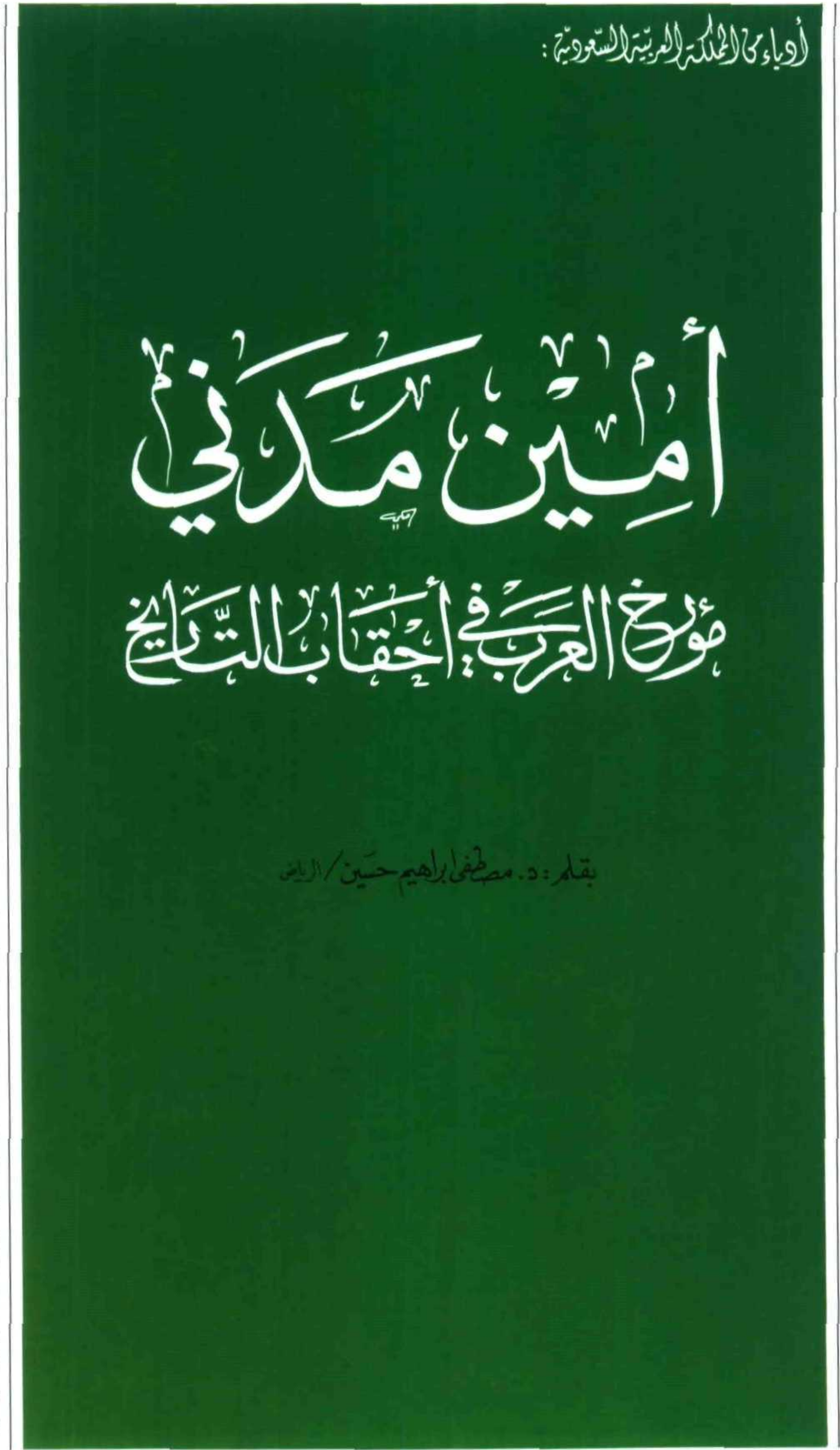
(١٣) ديوانه ج/٢.
(١٤) اوراق سامي السراج المحفوظة في حماة.
(١٥) تاريخ آداب العرب له ج ٢ ص/٧٠.
(١٦) ديوانه طبع وزارة الثقافة بدمشق.



الأم والحياة

شعر: مصطفى أحمد النجار / حلب

لمّا أراكِ أرى الحصافة اينعت ... بمحبة فاقت شبابي في عطاه
وأرى زماناً ماثلا لي قد مضى ... سهراً وأشواقاً فما أحلى صداه
امّاه يا حلمي وموطن دوحتي ... دامت على الأيام ناضرة رباه
أمّاه يا وطني اذا عزّ الملا ... ذ وفجر أيامي ويا حُلُماً أراه
أمّاه يا نجواي ان جفّ الهناء ... يا نبع أحلامي ويا لحن الشُداه
وتمرّ بي حقبٌ على زنديك أصحو سائلا: فإلى متى يبقى شقاه؟
ويسير من خطر الى خطر قطا ... ر حقيقةٍ ويسير من غير اتجاه
قولي لها يا نفس لا تتأسّفي ... آوي اليكِ مغرداً شجن الحياه
طهر فؤادك وانطلق بتفكّر ... قل للذي هو غادر تبّت يداه
أنظر الى أفق السما فضياؤها ... غسل الوجود بعاطرات من سناه
أنظر الى متشامخ، متسامقٍ ... مالت عليه نسورها هذي الفلاه
الأرض أمه أو أبوه فلا يرى ... ملئاً يساور مبتداه ومنتهاه
في الكائنات حقائق وحقائق ... ولدى صغير صغيرها سر الإله!



هو أمين عبدالله حمزة مدني، الأديب المؤرخ، الكاتب الشاعر الصحفي، وصاحب الموسوعة الكبرى في التاريخ العربي: «العرب في أحقاب التاريخ». وهو أحد أفراد «آل مدني»، من أشهر بيوتات الأدب والعلم بطيبة الطيِّبة، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

ولد ــ رحمه الله ــ في عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، وأخرجه والده الى ضواحي المدينة للرضاع وتعلم الفصحى من منابتها الأصيلة. ومات الأب بعد شهر، فأعيد الصغير الى المدينة. وكان الأب عبدالله ــ رحمه الله ــ من رجالات المدينة البارزين، مدحه الشعراء وراسله أمراء وملوك العرب على عصره، وحفل مجلسه ــ في بيته ــ برجال العلم والأدب والسياسة. أما الوالدة ــ رحمها الله ــ فهي من «آل البرزنجي»، وهي ابنة الشيخ «أحمد برزنجي»، الذي كان مفتي الشافعية بالمدينة المنورة، كما كان عضوا عن المدينة في مجلس (المبعوثان) العثماني.

وكان لآل مدني مكتبة شهيرة حافلة، أدت دورها في تنشيط الحركة الفكرية بالمملكة العربية السعودية، مع نظيراتها، مثل: المكتبة الحميدية ومكتبة الحرم النبوي الشريف، ومكتبة بشير أغا، ومكتبة الكشميري. ومع أن مكتبة آل مدني كانت من المكتبات الخاصة، فقد كانت تفتح أبوابها لمرتاديها من طلاب المعرفة.

وربما كان من المفيد أن نلم أيضا ــ بمزيد من الحديث عن أفراد من «آل مدني»، كانوا من ذوي المكانة في تاريخ الفكر بالمملكة ــ بعامة ــ وبمنطقة الحجاز بشكل خاص. فقد كان لأمين مدني شقيق أديب شاعر، هو الراحل «عبيد مدني» الذي عدَّه مؤرخو الأدب من جيل الشعراء المحافظين. وكان «عبيد مدني» تلميذا للشاعر المدني «محمد العمري»، الذي أطلقت عليه الصحافة السعودية ــ يوما ــ لقب «شاعر المدينة»، وما لبث هذا اللقب ذاته أن انتقل الى «عبيد مدني» نفسه، بعد أن انتقل «العمري» الى الرفيق الأعلى. وقد احتفظ «عبيد مدني» ــ رحمه الله ــ بقصائد استاذه العمري كاملة تامة، وتكاد تكون المجموعة الوحيدة. كما احتفظ عبيد ــ أيضا ــ بمجاميع شعرية أخرى لشعراء آخرين، تعد من الذخائر النوادر. وعم الأخوين «عبيد وأمين»، هو الشيخ «عبدالجليل مدني» شيخ الحرم المدني الشريف في العهد العثماني. وحين أصدر العثمانيون أوامرهم

بترحيل أهل المدينة الى سوريا إبان الحرب الاولى الكبرى، فلم يبق من أهلها سوى ثلاثمائة وبضعة عشر مدنيا، حينذاك اضطر العثمانيون الى استبقاء الشيخ رحمه الله، بحكم المكانة والمنصب. فأبقى العم في كنفه ورعايته ابني اخيه: عبيد وأمين، وكانا ـــ آنذاك ـــ قاصرين. يقول الشقيق أمين رحمه الله «وقد بقيت أنا وأخي عبيد مدني قاصرين تحت رعايته، وقد كنت في الخامسة من عمري، وكنت اذا أقبل الليل أخاف الظلام والصمت اللذين يلفان المدينة».

التعليم

تلقى «أمين مدني» ـــ رحمه الله ـــ تعليمه في المدارس الابتدائية بالمدينة المنورة، وحضر دروس الأدب والعلم في حلقات الحرم النبوي الشريف على أيدي جهابذة علماء المدينة، وفي الصدارة منهم الراحل الشيخ محمد الطيب الانصاري، عالم المدينة الأشهر، والشيخ احمد فيض أبادي، والشيخ ابراهيم بري، وقد درس عليه قواعد العربية.

ولندع لأمين مدني الحديث عن حلقات الحرم المدني حيث يقول: «ولقد شهدت هذه الحلقات آخر العهد الهاشمي، وأول العهد السعودي، فوجدت منها حلقات الارشاد والوعظ، وحلقات يدرِّس فيها أساتذتي في مختلف العلوم: التفسير والحديث والفقه واللغة: قواعدها وآدابها. وتسير الدراسة في هذه الحلقات على مراحل، فمثال ذلك قواعد اللغة والنحو. ففي المرحلة الاولى يدرس كتاب الأجرومية، ثم المرحلة الثانية ويدرس فيها كتاب القطر، والمرحلة الثالثة تعتبر دراسات عليا، تدرس فيها ألفية ابن مالك وشروحها، مثل: شرح ابن عقيل والأشموني. وفي هذه المرحلة يحق للطلبة ان يدرسوا علم البلاغة والبيان، وكذلك الفقه، وهو ايضا على مراحل.. ولكل مذهب من المذاهب الفقهية الأربعة أساتذته المختصون. وهذه الحلقات قل أن يشترك فيها من لم يحفظ القرآن، وعلى الأقل من لم يتعلم القراءة والكتابة في كتاتيب المدينة في الغرف التي بنيت في عهد الاتراك بين بابي المجيدي الداخلي والخارجي، وغيرها من الكتاتيب المنتشرة في محلات المدينة». وخلاصة النص المتقدم، ان حلقات المدينة كانت حلقات منظمة الى مراحل تعليمية متدرجة. فهي ـــ من حيث الهيكل العام ـــ شبيهة بالجامعات الاسلامية المستحدثة، بما فيها معاهدها التي كانت تهيىء الطلاب للدراسة الجامعية.

بين الثقافة والصحافة

ونشاط أمين مدني نشاط منوع بين الأدب ابداعا وبحثا، والتاريخ، العربي قبل الاسلام وبعده والثقافة الاسلامية. فهو معدود في أعلام الصحافة، اذ كان ـــ رحمه الله ـــ أول رئيس تحرير لجريدة «المدينة المنورة»، التي نال امتياز اصدارها الأخوان: علي وعثمان حافظ، وهما من أبرز رجالات الصحافة السعودية. وكان يساعد أمين مدني في عمله بجريدة «المدينة المنورة» كل من الاستاذين: محمد حسين زيدان، وضياء الدين رجب.

رائد القصة السعودية

مارس أمين مدني ـــ رحمه الله ـــ كتابة القصة، مع جيل الرواد من كتَّاب هذا الفن بالمملكة العربية السعودية، أمثال: محمد أمين يحيى، ومحمد عالم الأفغاني، ومحمد علي مغربي، واحمد السباعي، ومحمد علي قطب، واحمد علي،ومحمد مليباري، ومحمد زارع عقيل، وخالد الخليفة، وغيرهم.

وقد كتب أمين مدني رواية «نهاية عبقري»، التي تدور أحداثها حول مأساة قتل شاعر العرب الأكبر: أبي الطيب المتنبي، حين أغرى به عضد الدولة فاتكاً الاسدي، فقتله مخافة أن يشهِّر به، كما فعل بكافور الأخشيدي من قبل بأبشع قصائد الهجاء.

ورواية «نهاية عبقري»، هي رواية أمين مدني الوحيدة. وتلك ظاهرة استرعت انتباه الباحثين في «تاريخ القصة السعودية» في الأدب العربي الحديث، فلعبد القدوس الانصاري رواية واحدة هي «التوأمان» ولاحمد السباعي روايته الوحيدة «فكرة»، ولمحمد علي مغربي رواية «البعث»، وهي أيضا روايته الوحيدة. وكذلك عبدالله مليباري، ومحمد زارع عقيل.

وتصادفنا مشكلة عدم العثور على نص رواية «نهاية عبقري»، مما يحول دون الاطلاع عليها والوقوف على ملامحها الفنية، ووضعها في مكانها من حركة الابداع القصصي في الأدب السعودي الحديث، وخاصة ذلك القصص السعودي الذي ظهر معها في وقت واحد. ويبدو أن هذا العامل كان وراء اغفال دراسة رواية أمين مدني، من جانب الباحثين. إلا أن «نهاية عبقري» ـــ على كل حال ـــ معدودة في الرواية التاريخية.

أدب الرحلة

مارس أمين مدني الكتابة في «أدب الرحلة»، وله في ذلك كتابان، هما: «رحلة الهند»، و «رحلة تهامة». والذي يدعو الى الدهشة ـــ حقا ـــ ان الكتابين ـــ وهما مخطوطان ـــ قد ترجم الأول منهما الى اللغة الأوردية، دون أن يخرج لقارىء العربية منشورا بلغته العربية، التي كتب بها.

الكاتب الاسلامي

أسهم أمين مدني في حقل الدراسات الاسلامية، بالمقال والمحاضرة والكتاب المؤلف. وبين ايدينا كتابان له، وهما:

* ـــ كتاب «الاستثمار المصرفي. شركات المساهمة في التشريع الاسلامي».

* ـــ كتاب «الثقافة الاسلامية وحواضرها».

والكتابان ـــ كلاهما ـــ بحثان مطوَّلان تقدم بهما المؤلف الى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض، في مؤتمرها الذي عقدته في عام ١٤٠٠ للهجرة، لتوديع القرن الرابع عشر الهجري.

ويهمنا في هذا المقام ان نتحدث عن مؤلفه حول الثقافة الاسلامية وحواضرها حيث أن المؤلف حاول في هذا الكتاب أن يستعرض تاريخ مواطن الثقافة الاسلامية في المشرق العربي، وفي المغرب والأندلس، وفي بلدان الشرق الاعجمي بما فيها بلاد ما وراء النهر.

والكتاب بحث طريف لتاريخ النشاط العقلي في مراكزه الرئيسية، حظيت فيه المدينة المنورة ـــ موطن الأدب ـــ بأوفى نصيب من عنايته، اذ تحدث عن التعليم في المدينة من خلال أماكنه: من مدارس ومساجد ومجالس عامة، وعن المكتبات، وأشهر علماء المدينة. وفعل المؤلف مثل ذلك في سائر الحواضر الاسلامية: مَشْرِقا ومَغْرِبا.

وقد رجع المؤلف الى مراجع كثيرة ومتنوعة. وكان لثقافته التاريخية الواسعة التي تميز بها دور كبير في امداده بالكثير النافع من المعلومات والمعارف. كما تميز عمل المؤلف بجودة التخطيط والتبويب اللذين تميز بهما في سائر كتبه وأبحاثه.

ولكن يؤخذ على المؤلف في كتابه بعض المآخذ نوجزها فيما يلي :

* ـــ أنه صرف أكثر القول الى التعليم، فاذا استثنينا حديثه عن المكتبات ـــ وهو أيضا قليل نادر وليس في كل الحواضر التي تحدث عنها ـــ

فان عنوان الكتاب يصبح غير مطابق — بشكل دقيق — لمحتواه، إذ ينبغي ان يكون العنوان: «التعليم وحواضره في العالم الاسلامي». لا سيما وأن المؤلف لم يلق أضواء كاشفة على أصناف العلوم والثقافات، وإنما كان يكتفي باشارات عجلى الى المدارس والمساجد غالبا.

* — استغرق الفصل الأول من الكتاب ذي الفصلين قرابة نصف الكتاب في أبحاث لا تتصل بالثقافة الاسلامية اتصالا مباشرا، مثل دراسته لتاريخ الأديان في الشرق الأقصى وفي الجزيرة العربية والشرق الأدنى، ودرس المذاهب الفقهية والسياسة الاسلامية في القرآن الكريم، الى غير ذلك.

* — لم يتوسع الباحث في دراسته للعلوم الاسلامية الأصيلة كالتفسير والحديث والعقيدة، على حين تحدث عن الشعر واللغة والتاريخ والجغرافيا، مع أنها ليست أولى بالحديث مما ذكرناه من العلوم الأصيلة.

* — كثرة استطرادات المؤلف في موضوعات جانبية، لا صلة لها بما هو بصدده، كحديثه عن الاستعمار الشيوعي في افغانستان وتهديده لسائر الدول الاسلامية، وكحديثه عن امريكا واسرائيل، دون أن يربط منهجيا بين هذه الموضوعات، وبين موضوع الكتاب.

ولو فعل الكاتب، لكان بوسعه أن يتحدث عن دور الشيوعية والصهيونية والغرب في محاولة طمس الثقافة الاسلامية، وفرض ثقافات دخيلة. ولكان حديثا — حينئذ — مبررا مقنعا.

الكاتب المؤرخ

اضطلع أمين مدني بانجاز مشروع تاريخي ضخم يشكل موسوعة في التاريخ العربي، قبل الاسلام وبعده، وقد أنهى — رحمه الله — خمسة مجلدات ضخمة في تاريخ عصر ما قبل الاسلام، ولا أدري ما اذا كان قد طبع هذه المجلدات الخمسة وأصدرها قبل وفاته، أم أعجله القضاء المحتوم عن اتمامها جميعها، وان كان قد أنجزها — بطبيعة الحال — كتابة. والذي بين أيدينا من هذه المجلدات إثنان وهما:

الجزء الثاني: «التاريخ العربي ومصادره».

الجزء الثالث: «التاريخ العربي وجغرافيته».

ونقتصر دراستنا عليهما.

والمشروع — في حد ذاته — عمل علمي جليل، يُسْلِكُ صاحبه في عداد مؤرخينا العرب المعاصرين، ويحله مكانة مرموقة في ميدان «البحث التاريخي»، ونحاول — فيما يلي — أن نعرض للجزءين السابقين، ثم نتبع الدراسة الجزئية برؤية شاملة لملامح البحث التاريخي لدى أمين مدني، وطبيعة منهجه.

التاريخ العربي ومصادره

ويقع في نحو سبعمائة وأربع وثمانين صفحة، من الحجم المتوسط. وهو مذيل بعشرين خارطة توضيحية منوعة، نصّ المؤلف بأمانة على أنها «مقتبسة من خرائط المعاجم والمؤسسات». ومن هذه الخرائط: خريطة شعوب قدماء العرب، وخريطة الجزيرة العربية عشية ظهور الاسلام وخريطة المملكة العربية السعودية، وخريطة الوجه البحري وشمالي الوجه القبلي من جمهورية مصر العربية. أما عن أقسام الكتاب وموضوعاته، فانه يقع في تسعة فصول، أولها فصل في «تقويم الجزيرة العربية»، وآخرها — وهو التاسع — في «مصر العمليقية العربية». وقد عُني المؤرخ بالجزيرة العربية، فتناول بالبحث التاريخي والجغرافي كلا من: «الحجاز، ونجد، والعروض، وتهامة، واليمن، والهلال الخصيب «العراق وفلسطين وسوريا ولبنان».

وينطلق المؤرخ من فكرة يظل يلحّ عليها، ويتشبث بها، ويلتمس شتى الادلة لاثباتها وتأكيدها. تلك هي أن الجزيرة العربية تمتد من الفرات الى النيل، ولا تنحصر في مجرد الجزء الواقع ما بين الخليج والبحر الأحمر، وبين شمال المملكة العربية السعودية، وأقصى جنوب اليمن.

وفي الفصل التاسع والأخير من الكتاب، وهو عن «مصر العمليقية العربية»، بذل المؤرخ عناية خاصة لاثبات «عروبة مصر»، وهو — هنا — يتبنى النظرية التاريخية التي ترى ان فراعين مصر ينحدرون من أصول وأعراق عربية. ومصر العربية — كما يقدمها بحث المدني — ليست مصر على اطلاقها بحدودها الراهنة، بل هي ذلك «الجزء الشمالي الممتد من خليج العقبة شرقا الى النيل غربا، ومن ضفة النيل الشرقية الممتدة من البحر المتوسط شمالا الى بلبيس جنوبا».

وبلبيس هي نهاية الجزء الجنوبي من مصر الداخل في نطاق «الجزيرة العربية»، فانها بلدة فوق القاهرة، تحضرت فيها قبائل العرب، وفيها أسكن يوسف أباه يعقوب واخوته، وفيها توفي الخليفة «العزيز الفاطمي». أما الأدلة التي التمسها المؤرخ لاثبات عروبة مصر منذ أقدم عصور التاريخ العربي قبل الاسلام، فانها تنحصر فيما يلي:

١ — اسم «مصر»، فهو لفظ عربي قديم أصيل.

٢ — جغرافية مصر العمليقية وحدودها، وهو يعني بذلك متاخمتها لسائر أجزاء الجزيرة العربية شرقا وشمالا.

٣ — سكان مصر، فقد نزح العماليق العرب الى أرض مصر.

٤ — مصر في القرآن الكريم، يشير بهذا الى تشريف الله لها بذكرها في كتابه الكريم في مواضع شتى، كما في سور البقرة ويوسف والقَصَص على سبيل المثال.

وبذا يرفض المؤرخ — هنا — فكرة فصل مصر وأرض الهلال الخصيب عن الأرض العربية.

ولعل من دوافع المؤرخ الى تأليف سلسلته التاريخية — والتي من بينها الكتاب المتقدم — هو تصحيح الأوهام والاغلاط التي وقع فيها بعض من كتبوا في التاريخ العربي من المستشرقين وتلامذتهم المؤرخين العرب. كذلك كان من أهداف المؤرخ جمع المفرق المتناثر من حقائق التاريخ، بعضها بإزاء بعض، في كتاب واحد يضم شتاتها.

ولعل من أطرف بحوث المدني وأشملها بحثه عن «عكاظ: أرضا وسوقا». وهو في سوق عكاظ تاريخا وموقعا. وقد نبه المؤرخ الى غلط وقع فيه بعض المؤرخين نتيجة لعدم إلمامهم ببعض مصطلحات الجغرافيين العرب القدماء، ومن بينها حيرتهم إزاء عبارة هؤلاء الجغرافيين، وهي قولهم: «عكاظ بأعلى نجد قريبا من عرفات»، فقد فهموا على أنها ذلك الاقليم الواقع في قلب الجزيرة العربية، وهو أبعد ما يكون عن الحجاز. فقد أطلق الجغرافيون العرب القدماء مصطلح «نجد» على جبل السراة حيث أطلق العرب عليها اسماء «نجد وحُجازا وحلسا». فعكاظ — اذن — حجازية وليست في اقليم نجد المعروف لنا.

وقد تتبع المؤرخ أصل التسمية: لغويا وجغرافيا، وأثبت أن «سوق عكاظ» هي أصل أسواق العرب جميعا، وحقق موضعها وتاريخها، وأثبت أنها انتهت بعد الحج الأكبر، في حياة النبي، صلوات الله وسلامه عليه، ولم تمكث بعد هذا التاريخ الى عام ١٢٩ للهجرة كما توهّم البعض، لأن الاسلام أبطل تلك السوق، لما كان يدور فيها من التهاجي والتفاخر. وساق المؤلف جملة من الأدلة، أظهرها: أنه لم يجد ذكرا لسوق عكاظ — بعد الاسلام — في المصادر التاريخية القديمة، حتى تلك التي تم

تأليفها في حقبة قريبة من عام ١٢٩ للهجرة، التي زعم البعض أنها نهاية سوق عكاظ.

وأول ما يميز به كتاب «التاريخ العربي ومصادره»، هو هذا الثراء الملحوظ في المادة العلمية، وهو مع ذلك جزء من خمسة أجزاء من تاريخ العرب قبل الاسلام.

والميزة الثانية، هي جودة التصنيف والتنسيق للمادة العلمية، وحسن تبويب الكتاب، فهو ينقسم الى فصول، وكل فصل الى بحوث، كما يحرص المؤلف على تصدير كل فصل بعناوين رئيسية لموضوعاته، وتصدير كل بحث بمثل ذلك ايضا. كذلك يحرص المؤلف على أن يصنع لكتابه خاتمة ترصد أبرز النتائج. فضلا عن مقدمة جيدة أبرزت أهم أهداف الكتاب. فالبناء العام للكتاب — إذن — بناء علمي اكاديمي دقيق.

أما مصادر الكتاب ومراجعه فهي أساسية ومتنوعة منها على سبيل المثال: «تاريخ العرب قبل الاسلام» لجواد علي، و «العرب قبل الاسلام» لجورجي زيدان، و «تاريخ العرب المطول» لفيليب حِتّي، هذا عن المراجع الحديثة. أما عن المصادر والمراجع القديمة، فمنها: «معجم البلدان» لياقوت الحموي، و «تاريخ ابن كثير»، و «ابن الأثير»، و «ابن خلدون»، وغيرها. وقد سجّل المؤلف ملحوظات قيمة على أبرز تلك المصادر والمراجع، وهي ملحوظات تدل على طول المعايشة وجودة التصور.

ولكن يؤخذ على المدني — رحمه الله: ميله الى التكرار، والاستطراد أحيانا، وتعويله — احيانا — على مراجع غير أصيلة ولا جديرة بالاعتبار، مع أنه كما قدمنا يتوخى — في الأغلب الأعم — كبريات المصادر وأصلها. كما أنه — مع عنايته باثبات المراجع في حواشي كتابه — لم يحرص على أن يسلكها جميعها في ثبت عام في نهاية الكتاب استكمالا للشكل الاكاديمي الذي اصطنعه لعمله القيّم.

٢ — التاريخ العربي ومصادره:

وهو — كما أسلفنا — الجزء الثاني من الموسوعة التاريخية «العرب في أحقاب التاريخ». ويقوم الكتاب على اثني عشر فصلا، وينقسم كل فصل الى عدة أبحاث. فالفصل الأول في «التاريخ ومصادره»، والأخير في «أعلام المؤلفين في التاريخ العربي».

أما المصادر التي تناولها المؤلف بالدراسة في كتابه فهي: القرآن الكريم، والأسفار، والأساطير، والشعر، ورواة أيام العرب. كما تناول المؤلف بالبحث موضوع «التدوين التاريخي عند العرب» في بداياته وفي أماكنه، والرواية التاريخية، ومناهج البحث التاريخي عند القدماء، من نسابين وجغرافيين وأصحاب كتب التراجم للأعلام، ثم المترجمين عن اللغات الاجنبية.

ومن أبرز الموضوعات التي طرقها كتاب «التاريخ العربي ومصادره» دراسته للحقائق التاريخية الواردة في القرآن الكريم بما تميزت به من الصدق الكامل، لا كما زعم بعض الباحثين بأن القصص القرآني هو قصص فني أدبي لا تاريخي، كما ردَّ مزاعم القائلين بنقل القرآن عن مصادر كتابية. ومنهج المؤلف يقوم على رصد المزاعم، ثم تفنيدها وردها بمنهج علمي هادىء سديد. يقول — مثلا — عن أخبار عاد وثمود في القرآن الكريم — والتي كانت موضع شك الى عهد قريب — «ثم هذه اخبار عاد.. وأخبار ثمود، والتي كانت الى عهد قريب موضع شك المستشرقين، أصبحت اخبارا ذات قيمة في البحوث التاريخية، بعد ان كشف الباحثون آثارهم في شمالي الحجاز وفي اليمن، ولا أراني مبالغا اذا قلت: أن إتساع المعارف الأثرية أقنع جمعاً من الباحثين غير قليل، بأن القصص القرآني يشير الى حقائق تاريخية.».

وقد استند المؤلف — رحمه الله — في اثبات صدق ما أورده القرآن الكريم من القصص — الى ورودها في العهد القديم. ولكننا — هنا — ننبه الى حقيقة هامة، هي الفرق بين المنهج القرآني — في القصص، ومنهج العهد القديم. فالقرآن أقام تاريخه على الصدق اليقيني الكامل، الذي لا يشوبه أدنى شائبة من تزيُّد أو مخالفة للواقع، بينما كثر الحشو والتزيُّد في قصص العهد القديم، بسبب ما أدخل عليه المتزيِّدون من بني اسرائيل.

ثمة فارق آخر بين قصص القرآن، وقصص العهد القديم نضيفه على سبيل الحيطة بين يدي بحث المدني. ذلك أن القرآن ليس كتاب تاريخ في المقام الاول. بل هو كتاب هداية وعظة. وانما يورد احداث التاريخ وسيلة لتحقيق هذا الهدف. ومن هنا لا يورد من التاريخ إلا ما يرتبط بالهدف ويحققه. كذلك لم ترد قصص القرآن للتسلية، بل للتسرية عن رسول الله، والعبرة له — ﷺ — ولسائر الأمة من بعده. وآخر ما نعلق به على ما ورد في مبحث المدني — رحمه الله — ان قصص القرآن الكريم — وهو تاريخ مطابق للحقيقة أكمل المطابقة — قد عُرض في سياق فني أدبي معجز في أدائه، ولا غرو، فانه وحي الله المُنزل على نبي كريم.

وقد تناول المؤرخ — أيضا — الشعر العربي مصدرا من مصادر التاريخ العربي، بما حواه من أحداث وشخصيات ومواقف ولمحات عن البيئة والعادات والعقائد وأيام العرب وغير ذلك لكنه — بطبيعة الحال — أقل وثاقة ودقة من القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من عزيز حميد. إلا أن معالجة المؤلف لقضية «مصدرية الشعر العربي» قد اتسمت بالوجازة والعجلة. كما لم يشر قط الى أمرين ينبغي لمن تصدى لهذه القضية ألا يغفلهما:

* — إعطاء تفاصيل أوفى عن طبيعة المضامين التاريخية التي عبر الشعر العربي عنها.

* — مدى ما ينبغي أن نوليه للشعر من ثقة بمضامينه التاريخية، وهو شكل فني ابداعي، يكتسي بالعاطفة، ويتشح بالخيال. والعاطفة والخيال قد تدخلان الشبهة على «الصدق التاريخي» لأنهما يعبران عن «الصدق الذاتي والفني».

وفي الكتاب ما في سابقه من ميزات أو مآخذ. وهو مع سواه من حلقات هذه السلسلة من أوفى المراجع في التاريخ العربي القديم: مادة ومنهجا ومصادر ودقة لغة، وحسن تبويب، وجودة تنظيم.

ويسترعي انتباه القارىء في الكتاب موقف المدني — رحمه الله — من «الاستشراق والمستشرقين»، فهو موقف جد رصين هادىء. فهو لا يتحامل عليهم فيما يتكشفه من مآخذ. وإنما يفند الرأي بهدوء، ويقيم الدليل في موضوعية وأناة. كذلك لم يقف من المستشرقين موقف الإذعان والمتابعة الناجمين عن الانبهار والاعجاب، بل أخضع كل شيء لنظرة إسلامية علمية دقيقة. وهو — بعد — يقر لهم بالفضل فيما يستحقون، كما آخذهم فيما تنبغي فيه المؤاخذة.

والمدني — بعد — من رواد «المدرسة الاسلامية في البحث التاريخي». وقد إرتأينا هذا المسمّى لطائفة من الباحثين في مشرقنا العربي — على وجه الخصوص — حكموا التصور الاسلامي بنظرة علمية موضوعية وقدروا جسامة المسئولية التي يحملها قلم المؤرخ المسلم، فبرئت أبحاثهم من الخلط، ومن تلك الأصداء المرورة لآراء المستشرقين. وربما كان لنا عود الى هذا الجانب بإذن الله.

وإذا كان لهذا المقال من توصية، فهي ضرورة العمل على إخراج أعمال الراحل الكريم، وشقيقه «عبيد المدني» رحمهما الله. وبخاصة نشر ما لم ينشر من سلسلة «العرب في أحقاب التاريخ»□



المدينة الصناعية الثانية بالرياض

بقلم: سليمان نصر الله / هيئة التحرير

على الطريق الرئيسي الذي يربط الرياض بمدينة الخرج الزراعية ، تقوم المدينة الصناعية الثانية بالرياض ، في بقعة بعيدة عن صخب العاصمة وضجيجها . المصانع فيها حديثة ، جرى تخطيطها وتصميمها على نسق هندسي بديع . وتمتاز المدينة الجديدة بشوارعها العريضة المشجرة ، ومرافقها المساندة العديدة ، ومسطحاتها الخضر الجميلة ، وفوق ذلك كله بمنتجاتها الصناعية المتنوعة الفائقة الجودة ، التي راحت تلبي احتياجات السوق المحلية ، بل وتفيض عن حاجتها وتُصدّر إلى البلدان المجاورة .



صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، أمير منطقة الرياض يفتتح المصنع السعودي للسجاد بحضور معالي وزير الصناعة والكهرباء المهندس عبدالعزيز الزامل، ويبدو في الصورة صاحب المصنع الشيخ عمر سليمان العبداللطيف، ونجله الاستاذ احمد عمر العبداللطيف، مدير عام المصنع.

استكمالاً لما كنا قد بدأناه باستعراض الصناعات الوطنية في المدينة الصناعية الأولى بالرياض، نقوم اليوم بجولة على بعض المصانع القائمة في المدينة الصناعية الثانية، التي تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من مدينة الرياض، على بعد ١٧ كيلومترا منها. عرَّجنا أولاً على مبنى إدارة المدينة، حيث استقبلنا في مكتبه المهندس الشاب خالد ناصر الراجح، مدير ادارة المدينة الصناعية الثانية بالرياض. وقبل ان يحدثنا سعادته عن المدينة الصناعية الجديدة، دعانا لمشاهدة المعرِض الدائم للصناعات الوطنية في مبنى الادارة، الذي يضم عينات من منتجات المصانع القائمة في المدينة الثانية.

وقد أوضح سعادته لنا ان الدولة تقوم بدور نشط في مجال التعريف بالصناعات الوطنية، عن طريق اقامة معارض في أمهات مدن المملكة بين الفينة والأخرى، تشارك فيها الغرف التجارية الصناعية في تلك المدن، ثم ما تقوم به وسائل الاعلام من صحافة واذاعة وتلفزيون بالتعريف بمنتجاتنا الصناعية. وعليه فانني أهيب بأصحاب المصانع لأن يقوموا بدور مماثل للترويج والوصول الى المستهلك بكل الوسائل المتاحة. ولعل أقرب الأمثلة التي تعكس اهتمام الدولة بالصناعات الوطنية ورفع مستواها والعمل على تنويعها، اقامة المعارض بين الحين والآخر ومنها المعرض الرابع للصناعات الوطنية الذي نظمته الغرفة التجارية الصناعية بالرياض في مقر المعارض بالرياض في ٣٠ جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ وقد شاركت فيه نحو ١٨٠ شركة ومصنعا، وكان الاقبال على مشاهدة ما يحويه دليلا على تقدم الصناعة في المملكة ومدى جودتها، وكذلك معرِض الصناعات الوطنية الخامس الذي نظمته الغرفة التجارية الصناعية بجدة في مركز المعارض بمجمع الباروم في ١٦ شعبان ١٤٠٧هـ الموافق ١٤ ابريل ١٩٨٧م، وقد لاقى هذا المعرض اقبالا من الزوار مواطنين وغيرهم، وهذا أيضا يعكس مدى جودة الصناعات السعودية. وقد تصادف وجودنا لعمل هذا الاستطلاع أن معالي وزير الصناعة والكهرباء كان في المدينة الصناعية الثانية، وذلك في اطار الجولات التفقدية الدورية التي يقوم بها معاليه للمصانع الوطنية للوقوف على أحوال المصانع وتطورها التقني.

وفي جولتنا في أرجاء المعرض الدائم في مبنى ادارة المدينة الصناعية الثانية، شاهدنا منتجات صناعية متنوعة.

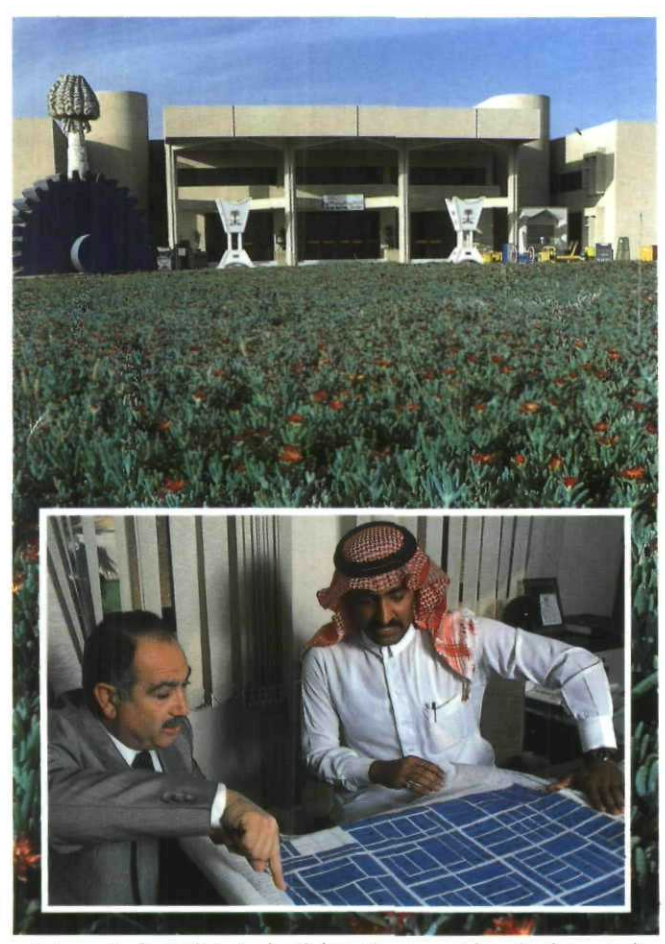
وعن إنشاء المدينة الصناعية الثانية بالرياض، حدثنا المهندس خالد ناصر الراجح قائلا: تمشيا مع انطلاقة النهضة الصناعية بالمملكة، رأت الدولة أن تنشئ منطقة صناعية جديدة تكون امتدادا للمنطقة الصناعية القديمة بالرياض، وأعدت المخططات وبدأ تنفيذ المرحلة الأولى منها في منتصف عام ١٣٩٨هـ، واستغرقت مدة التنفيذ سنتين ونصف السنة، وبلغت المساحة الاجمالية لهذه المرحلة حوالي ٤٧٠٠ ألف متر مربع، وكان الاقبال شديدا على الاستثمار في القطاع الصناعي مما استدعى توسعة هذه المدينة الى أن بلغت ٧٣٠٠ ألف متر مربع انتهت أعمال تنفيذها عام ١٤٠٥هـ، وكان أن صدر في العام ذاته قرار باطلاق اسم «المدينة الصناعية الثانية بالرياض» على هذه المنطقة الصناعية الجديدة. ولم تلبث ان أخذت المصانع ترتفع في أرجاء المدينة حتى بلغ عدد المنتجة منها ٢٤١ مصنعا، وهناك ٣٥ مصنعا تحت الانشاء.

ويجري حاليا التخطيط لمرحلة ثالثة لاستيعاب مزيد من المصانع، وبهذه المرحلة تصبح المساحة الكلية للمدينة الصناعية ١٦ مليون متر مربع. وقد بلغت أطوال الطرق المنفذة داخل المدينة حتى الآن نحو ٦٧ كيلومترا يتراوح عرضها بين ٢٠ و ٥٠ مترا. وهناك خطة ترمي الى ربط المدينة الصناعية بالميناء الجاف بالرياض بسكة حديد، لتسهيل شحن المنتجات الصناعية.

شركة صناعات الأغذية المتحدة

لعل من حسن الطالع أن تواكب زيارتنا لمصنع البسكويت التابع لشركة صناعات الأغذية المتحدة، الزيارة التفقدية التي قام بها معالي وزير الصناعة والكهرباء المهندس عبدالعزيز الزامل، لهذا المصنع وغيره من المصانع المنتجة في المدينة الصناعية الثانية بالرياض. وبعد انتهاء زيارة معالي الوزير لهذا المصنع الحديث، إلتقينا بالأستاذ عبدالعزيز محمد العقيل، مدير عام شركة صناعة الأغذية المتحدة وأحد الشركاء، ليحدثنا عن المصنع قائلا: تعود فكرة تأسيس هذا المصنع الى سنة ١٤٠٣هـ، عندما أخذنا في الاعتبار توفر المواد الأولية لصناعة البسكويت في بلدنا، وأهمها الدقيق والتمر. وبعد دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع، والتأكد من وجود السوق لمثل هذه المنتجات، قمنا بتأسيس الشركة في مطلع عام ١٤٠٤هـ، وكلفنا احدى المؤسسات الهندسية الاستشارية لتتولى أعمال التصميم، ثم نفذت مباني المصنع، بعدها تعاقدنا مع شركة بريطانية متخصصة في مثل هذه الصناعات الغذائية اسمها «نورثرن فودز» والتي بدورها تعاقدت مع شركة «بيكر بيركنز» لجلب المعدات والأجهزة الخاصة بصناعة البسكويت وتركيبها وتشغيلها.

وباشر المصنع انتاج البسكويت في شهر شعبان ١٤٠٧هـ، بعد توفير الفنيين وذوي الخبرة في هذا المجال، وقد لاقى انتاجنا قبولا حسنا لدى المستهلك في أنحاء المملكة. إننا ننتج ثمانية أنواع من البسكويت في عبوات مختلفة بين صغيرة وكبيرة، ويتم الصنع باتباع أحدث الأساليب التكنولوجية واستخدام أحدث المرافق لهذه الصناعات. إن حرصنا على انتاج أجود أنواع البسكويت، لا يوازيه سوى حرصنا على إرضاء كافة أذواق المستهلكين صغارا وكبارا، وتقديم أصناف من البسكويت اللذيذ الهش ذي القيمة الغذائية العالية، الصالح لكل مناسبة. إن استعمال الدقيق الغني بالبروتين من المملكة، وكذا أجود أنواع التمور، يجعلنا في وضع ننافس معه المنتجات المماثلة المستوردة من الخارج، ثم ان منتجاتنا تكون دائما طازجة لقربها من الأسواق المحلية. ومن ناحية أخرى نحرص على مواد التغليف، للمحافظة على خصائص البسكويت، ووقايته من الأحوال المناخية السائدة في بلادنا كالحرارة، والجفاف، والرطوبة. وتبلغ طاقة المصنع الانتاجية ١٥ ألف طن سنويا، بيد أننا ننتج حاليا ٣٠٠٠ طن سنويا في وردية واحدة، يتم تصريفها في المملكة وبعض دول مجلس



المهندس خالد ناصر الراجح مدير ادارة المنطقة الصناعية الثانية بالرياض يتحدث الى الزميل سليمان نصرالله، وقد ظهر بالخلف مبنى ادارة المدينة الصناعية.



معالي وزير الصناعة والكهرباء المهندس عبدالعزيز الزامل يستعرض منتجات شركة صناعات الأغذية المتحدة وذلك في جولة تفقدية لبعض المصانع القائمة في المدينة الصناعية الثانية، والى جانبه الاستاذ عبدالعزيز محمد العقيل، مدير عام الشركة.



خط انتاج البسكويت في مصنع شركة صناعة الأغذية المتحدة.

التعاون. ويعمل لدينا نحو ٨٠ موظفا بين اداري، ومهندس، وفني. وقد تعاقدت شركتنا مع شركة «الناغي اخوان» كوكيل لتوزيع بسكويت «ديمة» في المملكة، ولديه جهاز تسويق يتمتع بخبرة واسعة في هذا المجال تزيد على أربعين عاما. ولدينا مختبر مجهز بمعدات متقدمة يتم فيه فحص مكونات البسكويت والمواد الغذائية للتأكد من صلاحيتها وجودتها.

المصنع السعودي للسجاد

قصدنا المركز الرئيسي لمعرض «مفروشات العبداللطيف» في حي العليا، لمشاهدة بعض النماذج والعينات الخاصة بالمصنع السعودي للسجاد، الذي يملكه الشيخ عمر سليمان العبداللطيف، وهناك استقبلنا الشاب أحمد عمر العبداللطيف، مدير عام المصنع، الذي رافقنا في جولة قصيرة، استعرضنا فيها عينات عديدة من أصناف السجاد والموكيت، المنسقة تنسيقا بديعا في أركان المعرض، حتى لقد بدت بألوانها الزاهية وزخارفها ونقوشها البديعة وكأنها حديقة زهور، تملأ النفس بهجة وسرورا. وبعد أن التقط مصور القافلة بعض الصور للمعروضات، دلفنا الى مكتب الأستاذ احمد عمر العبداللطيف، ليروي لنا قصة تأسيس المصنع القائم في المدينة الصناعية الثانية، الذي يعتبر بحق أكبر وأحدث مصنع للسجاد في الشرق الأوسط. وقد لقي انتاج هذا المصنع رواجا لجودته ومنافسة اسعاره، وراح المصنع منذ بدء الانتاج يسد جزءا كبيرا من احتياجات المملكة من السجاد، وقطع الزل، والبُسُط، وأمداد الصلاة، ذات المواصفات الفنية العالية.

ولدى سؤال الأستاذ احمد العبداللطيف عن فكرة اقامة مصنع السجاد قال: كان والدي شغوفا بالاتّجار بقطع الأثاث، المستعمل منه والجديد، وكان يتنقل بين المنطقة الشرقية والكويت، وبينها وبين المنطقة الوسطى، يبيع ويشتري، وراح يضع القرش على القرش حتى تجمع لديه مبلغ من المال، ولم يلبث ان فكّر في استيراد الأثاث من الخارج، على نطاق ضيق في بادئ الأمر، ثم أخذت أعماله تتسع تدريجيا حتى أصبح له معارض ومفروشات منتشرة في أمهات مدن المملكة. ولما كانت سوق السجاد رائجة في المملكة، خطر لوالدي انشاء مصنع للسجاد، لتلبية بعض احتياجات القطاعين العام والخاص. ويمضي الأستاذ احمد العبداللطيف قائلا: ومصنع السجاد السعودي يجسد معالم النهضة الشاملة التي تعيشها المملكة، والتي واكبها طلب مُلِح على السجاد في الأسواق المحلية، على جميع المستويات. وبناء على ذلك، فقد تم تشكيل لجنة فنية متخصصة لدراسة فكرة انشاء مصنع للسجاد، من جميع نواحيها، بغية ترجمتها الى واقع عملي. وقد لاقت الفكرة تشجيعا كبيرا على الصعيدين الرسمي والشعبي. وبدأت الأعمال التنفيذية في هذا المشروع الاقتصادي في نهاية عام ١٤٠١هـ وبداية عام ١٤٠٢هـ. وقد تم تنفيذ مباني المصنع على مساحة قدرها ٤٠٠٠٠ متر مربع تقريبا. ولعل من المفيد ان أذكر أننا نستخدم الكمبيوتر في صناعة السجاد وخاصة فيما يتعلق بالزخارف الفنية والرسومات المتنوعة على قطع الزل وغيرها. ويتكون المصنع من قسم انتاج السجاد المنسوج الخاص بفرش المساجد والقطع، وقسم انتاج البساط «الموكيت» بأنواعه المختلفة، بالاضافة الى مرافق مساندة منها قسم انتاج الغراء «اللاتكس» اللازم لصناعة السجاد والبساط، وقسم تحلية المياه، والمختبر، والمستودعات. أما قسم انتاج السجاد المنسوج الخاص بالمساجد والقطع فيتكون من تسع مكائن أساسية للنسيج، مع المعدات والمكائن المساندة الأخرى اللازمة لمراحل الانتاج من فرز الخيوط وحواملها الى تنظيف الخلفيات، ومكائن قص رؤوس الوبر، ومكائن التبخير لتنظيف السجاد من العوالق والشوائب، واضافة اللمعان اليها. وتصل طاقة هذه المكائن الى حوالي ٨٦٠٠٠٠ متر مربع من البساط

المنسوج سنويا، علما بأن هذا الرقم النسيجي يعتمد على كثافة السجاد وعدد العقد في السنتيمتر المربع، فكلما زاد عدد العقد قلّت الطاقة الانتاجية، وكلما نقص عدد الغرز في السنتيمتر زادت الطاقة الانتاجية. وقد روعي في هذه المكائن أن تكون بعرض خمسة أمتار ليتسنى انتاج سجاد منسوج بعروض مناسبة، ولزيادة طاقتها الانتاجية عند انتاج أمداد الصلاة. وتقوم حاليا لجنة خاصة بدراسة المواصفات المستخدمة للبساط المنسوج، مستهدفة التعرف الى أكفأ مكائن الانتاج الحديثة، تمهيدا لتوسعة المصنع المستقبلية. وتبدأ مرحلة الانتاج في هذا المصنع بغرز الخيوط والتأكد من سلامتها ومطابقتها للمواصفات المطلوبة من حيث النوعية والجودة. ثم يتم تركيب البكرات على المكائن المخصصة بنسب متفاوتة، طبقا للرسومات المراد انتاجها. ويشرف على هذا العمل فنيون متمرسون يقومون بتركيب الرسومات المراد تنفيذها والمصممة بواسطة الكمبيوتر على مكائن النسيج وفي مواقعها المخصصة. وتبدأ عمليات النسيج حسب المقاسات المطلوبة، طبقا للبطاقات المثبتة في مكائن النسيج، ويكون الانتاج على جهتين في وقت واحد. ويقوم جهاز مراقبة النوعية ومطابقة المواصفات، بمراقبة مكثفة للانتاج في هذه المرحلة. وبعد ذلك تنقل البالات المنتجة الى مكائن قص الخلفية والتخلص من جميع عوالق الخيوط على خلفيات البساط، ثم ترسل البالات المنتجة من البساط الى مكائن القص حيث تتم تسوية رؤوس الوبر، ومن ثم يتم ادخالها الى ماكينة البخار لاضافة اللمعان اليها وتنظيفها من الشوائب. وفي حالات أمداد الصلاة والقطع، يقص الانتاج حسب المقاسات المطلوبة، ويتم تركيب الهدب والحواف على الأطراف حسب الطلب. وفي نهاية المطاف يلف البساط المنسوج بالبلاستيك لحمايته من الغبار، ويرسل الى المستودعات تمهيدا لتسليمه الى العملاء.

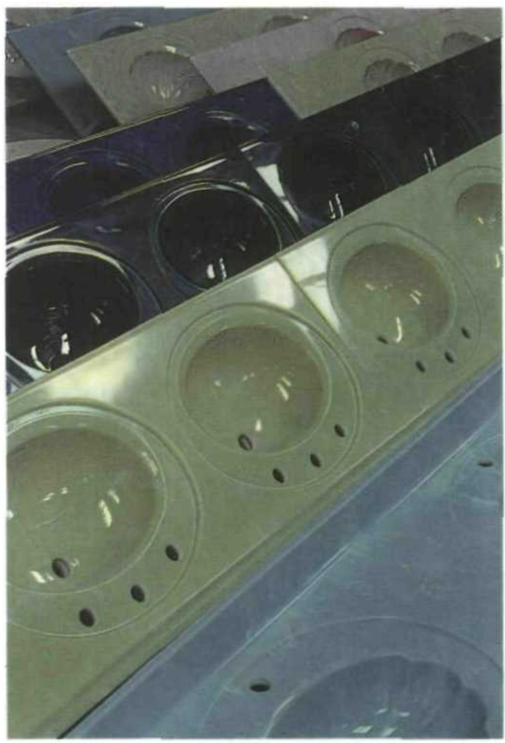
أما قسم انتاج الموكيت فيتكون من ست مكائن رئيسية وملحقتين اخريين. ويتم انتاج السجاد الموكيت بعروض تتراوح من ٣,٦٦م الى ٥م وما بينهما. وبذلك تتوفر لنا المرونة اللازمة لانتاج الموكيت حسب المقاسات المطلوبة، وبذا يتم التخلص من جميع عمليات التشريك، بالاضافة الى امكانية فرش الصالات والغرف الكبيرة بقطع متكاملة، بدلا من فرش عدة قطع في الصالة الواحدة او الغرفة الكبيرة. كما يوجد في هذا القسم مكائن أخرى لعمليات الانتاج كالفرن والتغرية، والتبخير، والقص، واللف. ومن بين هذه المكائن مكينة للسجاد المقصوص، يصل ارتفاعه الى ١٤ ملم، وغرزها قريبة من بعضها البعض، وهي مخصصة لانتاج سجاد المشاريع السكنية، وتصل طاقتها الانتاجية الى حوالي مليون متر مربع تقريبا.

ومن بين المرافق المساندة مصنع الغراء الذي شيد لتحقيق المزيد من الكفاءة الذاتية بحيث تقل الحاجة الى الاستيراد من الخارج. ويتم في هذا المصنع انتاج انواع مختلفة من الغراء، طبقا لنوعية السجاد وكثافته. ويشرف على مصنع الغراء فنيون متخصصون، مهمتهم انتاج أفضل أنواع الغراء، لكل نوع من أنواع السجاد المنتج. وهناك قسم تحلية المياه، الذي يعتبر وجوده أمرا ضروريا جدا، للمحافظة على استمرارية الانتاج السريع، وعلى سلامة جميع المكائن المستعملة، وللرقي بالأنواع المنتجة الى أرفع المستويات. واستخدام الماء المعالج أمر ضروري في جميع مراحل الانتاج، وأعمال الصيانة، والتبخير، وانتاج الغراء. ولدي المصنع مختبر يراقب جميع مراحل وعمليات الانتاج، قبل استخدام المواد واثناء وبعد انتهاء عملية الانتاج. وفي المختبر أجهزة فنية خاصة بفحص الخيوط، وثبات الألوان، ومرونة ومتانة الخيوط، وحجم التيلة، وعدد اللفات، وانواع اللفات في التيلة الواحدة، وأطوال الخيوط في البكرة، وثبات الغراء في السجاد، ومدى تأثير الأجسام الحادة والمدببة في السجاد بعد انتاجه كالاحذية النسائية، ومواصفات الماء والمواد الاساسية المستعملة في الانتاج. أما الخيوط المستعملة في صناعة السجاد فتستورد من الخارج وتتألف من الصوف، والقطن، والجوت، والنايلون، والبوليستر، وغيرها.


التبخير وازالة الشوائب من العمليات الاساسية في المصنع السعودي للسجاد.

مؤسّسة المنى لصناعة الرخام

كان أول ما اجتذب أنظارنا لدى دخولنا مصنع «المنى» للرخام أطقم الحمامات الأنيقة والمغاسل البديعة الاشكال والألوان، التي نسقت بشكل جذاب. وهذه المغاطس، والمغاسل وغيرها من الادوات الصحية المتنوعة، ولوحات الديكور، والأعمدة التجميلية، والاسطح العلوية، وألواح تكسية الجدران والأرضيات، تقوم بانتاجها مؤسسة المنى من الرخام الصناعي والأونكس. ولدى سؤالنا السيد محمد أحمد اغا، مدير المبيعات في المصنع، عن ماهية الرخام الصناعي قال: الرخام الصناعي هو خليط من الرخام الطبيعي بنسبة تصل الى ٨٥ بالمئة ومادة البوليستر، التي تضاف الى الرخام الطبيعي لتزيد من صلابته. ومن أبرز خواص ومزايا الرخام



عرض خاص لمنتجات مؤسسة المنى لصناعة الرخام من الأدوات الصحية.

الصناعي أنه لا يتشرب السوائل، وهو صلب لا يكسر بسهولة، حيث ان الطاقة اللازمة للكسر تبلغ ٥٣ كغم/سم٢، ويمكن قولبته في أشكال وألوان وأحجام كثيرة، وهو سهل التنظيف، ومقاوم للحرارة حيث لا يتأثر بها الا بعد درجة حرارة ٢٠٠ مئوية ، كما أنه لا يتأثر بالأحماض والمذيبات العضوية وغير العضوية. ويقوم المصنع بانتاج أطقم متنوعة من المغاطس المصنوعة من الرخام الصناعي، ذات الأشكال والألوان والحجوم المختلفة، لتلبية جميع الأذواق، خاصة وأنها تجمع بين الأناقة والمتانة والجمال، فضلا عن كونها مريحة وصحية.

لقد قام بتأسيس هذا المصنع عام ١٣٩٥هـ صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن ناصر بن عبدالعزيز، لسد احتياجات السوق المحلية من هذه المنتجات، خاصة وأن الطلب عليها قد ازداد مع النهضة العمرانية التي تشهدها المملكة. وتبلغ طاقة المصنع نحو ٩٠٠ طن سنويا. ويشتمل على خلاطات وأفران وقوالب تشكيل، يعمل عليها فنيون متخصصون. ويجري تصريف انتاج المصنع محليا بالتعامل مباشرة مع الزبائن وتجار الأدوات الصحية. ويلاقي انتاج المصنع اقبالا طيبا لجودته، ومتانته، وأناقته، وسهولة تنظيفه. وتخطط الادارة لتوسعة المصنع، باضافة خط انتاج جديد، وانشاء قسم للنجارة، سعيا وراء التكامل في هذه الصناعة من ناحية، وانتاج اصناف أخرى من الرخام الصناعي والأونكس من ناحية أخرى.

مَصنَع الجميح للأتوبيسَات

زرنا مصنع الجميح للأتوبيسات، للاطلاع على صناعة تسد جزءا كبيرا من احتياجات المملكة من الحافلات. والتقينا في المصنع بالأستاذ ابراهيم الطحان، مدير عام المصنع، الذي رافقنا في جولة على أقسام تجميع الأتوبيسات، بدءا من مرحلة بناء الهيكل وتجميعه، مرورا بورشة الدهان، وانتهاء بقسم التشطيب او التجهيز النهائي.

وتمشيا مع النهضة الصناعية في المملكة، قامت شركة عبدالعزيز ومحمد العبدالله الجميح، انطلاقا من خبرتها الطويلة في عالم السيارات، بالتفكير بانشاء مصنع للأوتوبيسات، بالتعاون الفني مع شركة «جنرال موتورز» وبعض الشركات المتخصصة في مجال صناعة السيارات، لتسد بانتاجها حاجة السوق المحلية وأسواق الخليج العربي. وبعد دراسات مستفيضة، تم التخطيط للمصنع ليصل انتاجه في المراحل الأولى الى ٦٠٠ اتوبيس سنويا، بأحجام متعددة تتفاوت من ٤٥ راكبا، الى ٦٠ راكبا، وذلك لتلبية كافة الاحتياجات. وتم انشاء المصنع برأس مال سعودي بالكامل، على مساحة ٤٥ ألف متر مربع، ويتكون من عدة وحدات لخدمة كافة الأنشطة التي يضمها المشروع. وتقوم الحظيرة الرئيسية على مساحة ثمانية آلاف متر مربع، وتتم فيها عمليات الانتاج المتتابعة. ويضم المصنع مباني الادارة وخدمات العمال والفنيين، والمسجد، ومحطة الخدمة، ومحطة الغسيل، ومحطة المحروقات، فضلا عن المساحات المخصصة لتخزين الشاسيهات والاتوبيسات المنتجة بالكامل، وبذلك يتحقق التكامل بين الانتاج والخدمات والمرافق. ويتم استيراد الشاسيهات من شركة «جنرال موتورز» الامريكية، وفق احتياجات المصنع وطبقا لمراحل الانتاج المختلفة. أما هياكل الاتوبيسات فيتم الحصول عليها مفككة من شركات تصنيع الهياكل الامريكية. وقد ظهرت باكورة انتاج المصنع خلال شهر جمادى الثانية ١٤٠٣هـ. وفي سبيل تحقيق مستوى رفيع في الانتاج فقد جندت شركة الجميح كافة الامكانات الفنية، لانتاج حافلات ذات مزايا ومواصفات صناعية تتسم بالجودة والمتانة، وتتناسب مع الأجواء والظروف الطبيعية للمملكة، وتتوفر فيها جميع شروط السلامة. وهذه الاتوبيسات متوفرة بمكيفات وبدونها. ولدى المصنع استعدادات تامة لانتاج مختلف أنواع الاتوبيسات حسب طلب العملاء، وتجهيزها بالكيفية التي يطلبها الزبون، خاصة وأن المزايا الاختيارية الأخرى متاحة، كالأرفف الداخلية للحقائب الصغيرة، والمقصورات الخارجية للأمتعة، وأجهزة الراديو، والنوافذ الانزلاقية بزجاج ملون، وستائر النوافذ، وشبك علوي للأمتعة وسلم خاص بذلك، وأجهزة تكييف، الى غير ذلك من مزايا اضافية مفيدة وجذابة. ويتم تجميع الاتوبيسات على شاسيهات «جي ام سي» من شركة «جنرال موتورز»



اللمسات الأخيرة لتجميع الأتوبيس في مصنع الجميح للاتوبيسات.



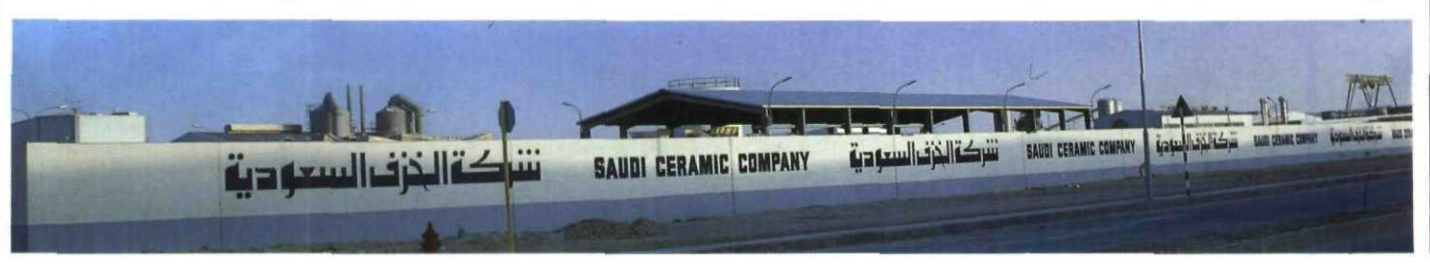
جانب من مصنع الجميح وشركة شل لزيوت التشحيم.

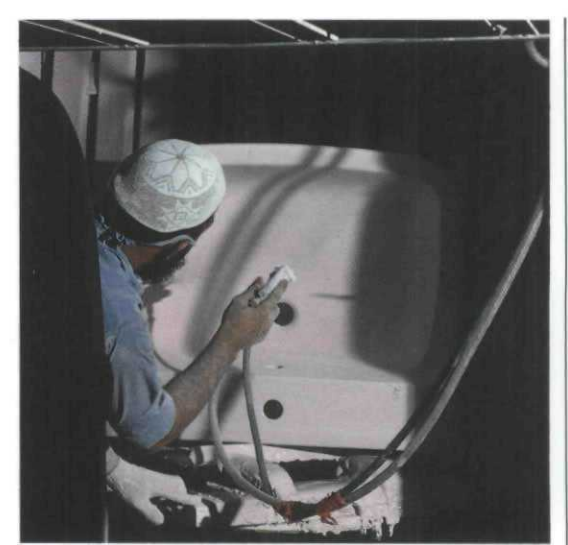
الأمريكية، التي تمتاز بقوة المحرك. ولكل اوتوبيس شاسيه خاص يتناسب مع حجمه. والمصنع يغطي احتياجات المعاهد التعليمية، والمدارس، والجامعات، والمؤسسات، والمصانع، وشركات نقل الحجاج، وشركات النقل العام، والأجهزة الحكومية، لنقل الموظفين والعمال والطلاب والمواطنين. كما أخذ انتاج المصنع يصل الى دول مجلس التعاون الخليجي.

شركة الخزف السعودية

تعتبر شركة الخزف السعودية من الشركات الوطنية الرائدة في مجال انتاج تشكيلة واسعة من بلاط السيراميك والأدوات الصحية، خاصة وأنها تملك أكبر وأحدث معامل انتاج الخزف. ان كل من يزور معامل هذه الشركة ومرافقها المساندة، ويتجول في ارجائها يدرك مدى ضخامة انتاجها، ويشعر بالارتياح وهو يشاهد أجود وأرق أنواع بلاط الخزف والأدوات الصحية، ناهيك عن اللوحات الجدارية من الموزاييك ذات الاشكال والتصاميم والألوان الرائعة والجذابة. علما بأن الخامات والمواد الأولية، التي تستخدمها الشركة هي محلية، وتشتمل هذه الخامات على الصلصال الكاؤوليني الأبيض، والصلصال الملون، والصلصال الحديدي، والفلدسبار أي سليكات الألمنيوم، والحجر الجيري، والرمل السليسي، والمرو. ومعظم هذه المواد الأولية متوفر في منطقة الرياض.

وشركة الخزف السعودية هي شركة سعودية مساهمة تأسست عام ١٣٩٧هـ. ويبلغ رأس مالها ١٥٠ مليون ريال. وراحت الشركة منذ ذلك الحين تستورد المكائن والآلات والمعدات والأجهزة اللازمة، وتنشئ المعامل والمصانع والمرافق المساندة، ثم لم تلبث ان باشرت تصنيع المنتجات الخزفية، التي وجدت لها سوقا رائجة في جميع أنحاء المملكة. وازاء النهضة العمرانية الشاملة في البلاد قامت الشركة بمشاريع توسعة متتابعة لرفع طاقتها الانتاجية وتنويع منتجاتها، لتلبية الطلب المتزايد عليها داخل المملكة وخارجها. وتشمل هذه المنتجات بلاط قيشاني الجدران وبلاط الارضيات، والأدوات الصحية، وبلاط السيراميك، والموزاييك، والطلاء، واللوحات الجدارية التزيينية للحمامات، وغيرها. وكل هذه المنتجات تمتاز بجودتها العالية وزخارفها ونقوشها البديعة، ولا سيما بلاط السيراميك الذي تعتبره الشركة جوهريا بالنسبة للعمارة العربية والاسلامية. فقد امتد استخدام هذا البلاط من الأرضيات والجدران الداخلية واللوحات الجدارية والافنية والساحات الى المطابخ الحديثة وغرف الحمامات، وأصبحت ضرورية في برامج الاسكان التي تضطلع بها حكومة المملكة. وفي لقائنا بالاستاذ سليمان محمد الخليفي، مدير عام الشركة، في مكتبه بمعارض الشركة في حي الملز بالرياض، قال: لدى الشركة حاليا عدد من المعارض في الرياض، وجدة، والطائف، وتبوك، وبريدة، والخرج، والدمام. ونقيم معارض في أمهات المدن في المملكة بقصد التعريف بمنتجاتنا الوطنية، والوقوف على رغبات عملائنا بغية تلبيتها. ونحن نحرص دائما على تقديم افضل المنتجات التي ترضي كافة الأذواق، والتي تتطابق مع أرقى المواصفات القياسية العالمية الخاصة بالجودة. ويتم تصريف منتجاتنا عن طريق البيع المباشر للتجار والمقاولين





عامل يضع اللمسات النهائية على احدى القطع الصحية التي تنتجها شركة الخزف السعودية.



جانب من منتجات شركة الخزف السعودية معروضة في معرضها في حي الملز بالرياض.

الكبار والمؤسسات الحكومية، والأفراد، كما أخذنا بتصدير جزء من انتاجنا الى دول الخليج العربية وخاصة الكويت، والى مصر، والسودان، واليمن، والصومال، وبنجلادش، وغيرها. وتبلغ طاقتنا الانتاجية السنوية من بلاط الجدران والارضيات والموازاييك نحو ثلاثة ملايين متر مربع، ومن الأدوات الصحية ٧٠ ألف طقم سنويا. وفي جولتنا في أركان المعرض شاهدت بالاضافة الى أطقم الأدوات الصحية لوحات جدارية من بلاط السيراميك المرسوم باليد، ويمثل أحد التخصصات التي تنفرد بها شركة الخزف السعودية. فالقسم الفني يزود العملاء بمجموعة واسعة من الأشكال المرسومة على البلاط وفي أي مقاس يطلبه العميل. ويشتمل المعرض على العديد من أطقم الحمامات الكاملة من الأدوات الصحية كالمغاطس والمغاسل والبيديهات، مع أنواع عديدة من البلاط السادة والمزخرف ذات الألوان المتناسقة مع أطقم الحمامات، والخلاطات ذات الجودة العالية، والاكسسوارات الفخمة. وتمثل منتجات الشركة أفضل تصميم صناعي معاصر، وتعكس اتجاه التصميم الداخلي بانسجام مع الاتجاهات العالمية. وقصدنا معامل الشركة ومرافقها، واستقبلنا الاستاذ محمد حسين الخريصي، مدير الشئون الادارية، الذي رافقنا في جولة طويلة على جميع وحدات الانتاج، بدءا من الغرف التي تحتوي على الخامات المستعملة في التصنيع، مرورا بمراحل الخلط، والكبس، والقولبة، والتشكيل، والطلاء، والتزجيج، والتجفيف، والحرق، والفرز، والتعبئة، والتخزين. ومعظم هذه العمليات اوتوماتيكية يلعب، في تنظيمها ومراقبتها الكومبيوتر دورا بارزا، كما يتولى المختبر مراقبة الجودة النوعية في جميع مراحل الانتاج. وتشتمل مرافق الشركة فضلا عن خطوط الانتاج الرئيسية على قسم لإعداد القوالب بتصاميم مبتكرة للأدوات الصحية وأجهزة الطباعة الشبكية على بلاط الجدران، والأفران الضخمة، والمكابس الهيدروليكية.

وأفادنا الأستاذ محمد حسين الخريصي بأن تكلفة المعدات التي يشتمل عليها المصنع تبلغ حوالي ١٩٠ مليون ريال، لجميع مراحل الانتاج والخدمات، بما في ذلك احد عشر فرنا وثلاثة عشر مكبسا هيدروليكيا، بالاضافة الى خطوط التزجيج وغيرها. ويعمل في المصنع حوالي ٨٠٠ موظف بين اداري، وفني، ومهندس، وعامل. وتقوم الشركة بالتنسيق مع وزارة العمل والشئون الاجتماعية لتدريب المواطنين السعوديين في أقسام الشركة. وأضاف الاستاذ الخريصي قائلا: تعتبر مصانع شركة الخزف السعودية من المصانع القليلة في العالم، التي تنتج كل منتجات السيراميك على اختلاف انواعها، سواء من البلاط او الفسيفساء أو الادوات الصحية، علاوة على انتاج مواد التزجيج اللازمة للطلاء. ويسير المصنع وفق احدث التقنيات في العالم، ويتم الانتاج طبقا لارقى المواصفات العالمية وخاصة الالمانية. وشركة الخزف السعودية اذ تنظر بعين التفاؤل نحو المستقبل، يحدوها أمل بأن تقوم الأجهزة المعنية بالدولة بحماية منتجات الشركة، التي تضاهي بل تتفوق على المنتجات الأجنبية. ومن ناحية أخرى فان الشركة تضمن جودتها لسنوات عديدة، والأهم من ذلك ان المواطن يستطيع الحصول بصفة مستمرة على بعض القطع التي قد تتعرض للكسر أثناء استعمالها، كأطقم الأدوات الصحية التي تنتجها الشركة، في حين يتعذر عليه الحصول على بديل لقطع الأطقم الأجنبية.

الشركة السعودية الحديثة لصناعة الكابلات "كابلات الرياض"

هي من الشركات الرائدة في صناعة الكابلات لنقل الطاقة الكهربائية في المملكة، وهي بخبرتها الفنية الواسعة تضفي على انتاجها من كابلات النحاس والالمنيوم قدرا كبيرا من ثقة العملاء في القطاعين العام والخاص في المملكة. لقد تأسست الشركة السعودية الحديثة لصناعة الكابلات المحدودة في مطلع عام ١٩٨٤م، وتم انشاء المصنع والادارة الرئيسية في

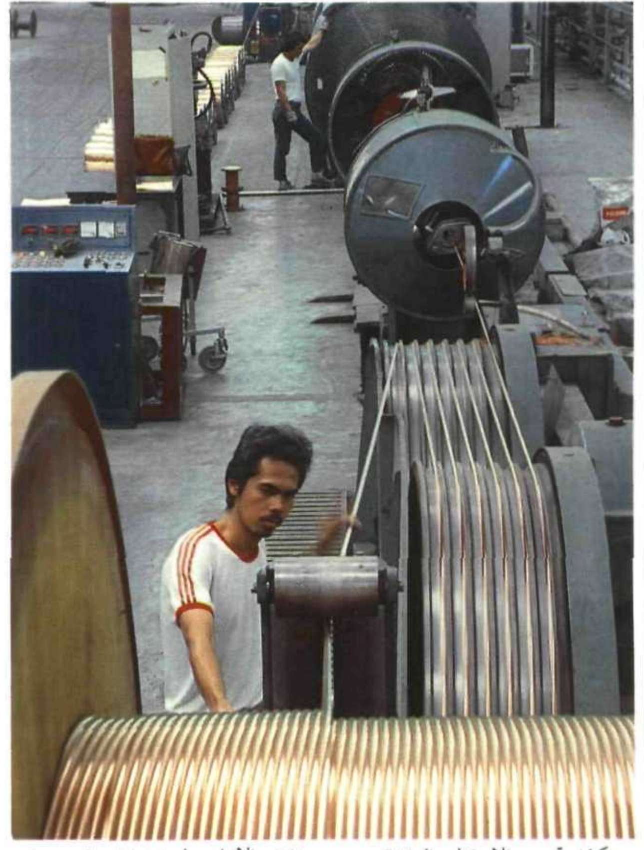
المنطقة الصناعية الجديدة بالرياض على أحدث الأسس، التي تتلاءم مع صناعة الكابلات، بالتعاون الفني مع شركة «AEG-KABLE»، كبرى الشركات الرائدة في صناعة الكابلات في المانيا الغربية. قامت الشركة باستيراد الآلات والمعدات، وبوشر في التصنيع التجريبي في بداية الربع الثاني من عام ١٩٨٥م.

قمنا بجولة في المصنع رافقنا فيها المهندس سامي دكروني، مدير الانتاج، حيث شرح لنا مراحل تصنيع كابلات واسلاك النحاس والالمنيوم.

وأفاد بأن انتاج الكابلات يمر بعمليات السحب والجدل



معدات سحب الكابلات في احد خطوط الانتاج في شركة «كابلات الرياض».



هكذا تخرج الاسلاك الدقيقة من وحدات الانتاج في الشركة السعودية الحديثة لصناعة الكابلات «كابلات الرياض».

والعزل والتجميع والتسليح، وهي عمليات دقيقة تتطلب قدرا كبيرا من المراقبة والتحكم. ففي عملية السحب يجري سحب أسلاك بمقاسات مختلفة من قضبان النحاس المستوردة، ثم تحول الاسلاك المسحوبة الى مرحلة الجدل، حيث يتم تجميع عدد من الأسلاك العارية للوصول الى القطر المطلوب للناقل. ويتم الفحص والقياس خلال هذه العملية لتلافي اية اخطاء. بعد هذه العملية تبدأ عملية العزل، إلا في حالة النواقل العارية والنواقل المجدولة التي ترسل مباشرة للتوزيع. والنواقل الكهربائية المجدولة تتألف من مجموعة من الاسلاك حسب المواصفات المطلوبة. أما عملية العزل فتشمل العزل للنواقل المجدولة باستخدام الـ PVC أو مادة XLPE، ثم وضع حشوة الاسلاك المعزولة والمجمعة، وبالتالي وضع غلاف خارجي للكابل. وقد زودت خطوط العزل بجهاز متطور جدا لقياس سمك العزل والحشوة والغلاف الخارجي، بواسطة الأشعة الضوئية، من أجل دقة متناهية في القياسات الميكرومترية. وبعد العزل تأتي عملية التجميع، وهي عبارة عن جمع النواقل المعزولة وجدلها تمهيدا لتغليفها أو تسليحها، وهي عملية يقصد منها حماية الكابل بوضع طبقات من الفولاذ الصلب على الحشوة او وضع أسلاك من الفولاذ على الحشوة ثم تثبيتها بشريط من الفولاذ الصلب. ونظرا لأهمية مراقبة الجودة، فقد تم تزويد المصنع بمختبر مجهز بأحدث المعدات والأجهزة الالكترونية المتطورة، لاجراء عملية قياس سماكة العزل وتعديله في الوقت ذاته. ويعمل في المختبر فنيون على مستوى عال من الخبرة في اجراء الاختبارات اللازمة لجميع مراحل التصنيع، بدءا من السحب والعزل والجمع والتسليح وانتهاءً بالتغليف، وذلك باشراف مباشر من قبل خبراء شركة «AEG-KABEL» الالمانية. ويقوم فنيو المختبر بتحليل واختبار كافة الخامات ومستلزمات الكابلات الواردة للمصنع، للتأكد من سلامتها ومطابقتها للمواصفات قبل التصنيع، كما يقومون باختبار الكابلات في جميع مراحل التصنيع الآنفة الذكر، حيث يتم اجراء فحص متكامل للخواص الفيزيائية والكيميائية والميكانيكية والكهربائية للمواد العازلة ومواد التغليف، كما يتم اجراء فحص متكامل كهربائيا وميكانيكيا وكيميائيا للأجزاء المعدنية للكابل من نحاس والمنيوم، وهلم جرا. ويقوم خبراء ومهندسو الشركة بتبادل المعلومات والآراء الفنية المتطورة مع الشركات المماثلة والعملاء في سبيل تطوير الانتاج الى الأفضل، وتقديم الاستشارات الفنية للعملاء. ويعمل في الشركة حاليا ٢١٠ موظفين، وسيرتفع هذا العدد لدى الانتهاء من التوسعة المزمع تنفيذها قريبا. ولدى الشركة خطط طموحة لتدريب المواطنين واصحاب الاختصاص في المصنع، وتنظيم دورات تدريبية لهم، بالاضافة الى ابتعاث المواطنين الراغبين في العمل لدى الشركة للتدرب على تقنية صناعة الكابلات، ومواكبة احدث التطورات في هذه الصناعة□

تصوير: علي عبدالله المبارك

رحلة مع القمر

شعر: علي الفقي / القاهرة

وكم في الليل من سرٍّ لنا في طيه مخفي
وكم اسدى يداً للحب قد جلّت عن الوصفِ
وكم من همسةٍ مرّت على أذنيه كالطيفِ
وعاها ثم أخفاها وكم في صدره يخفي
وكم قد حنّ للقيا حنين الإلف للإلْفِ

* * *

هلمي يا ملاك الحب نمضي في سنا البدرِ
ونختلس المنى والقرب في اغفاءة الدهرِ
كلانا حاضرُ الأشجان مطويّ على جمرِ!!
هلمي تحت ضوء البدر نسري حيثما يسري
ونطوي الليل في الأحلام حتى مطلع الفجرِ

* * *

فما تبغين يا دنياي من ذلي وحرماني
وما عوّدت نفسي الذل في الدنيا لانسانِ
ولولا الحب ما باتت عيون الحسن ترعاني
ولي قلب اذا ما انساب نحو الحسن ينساني
فما أحراك لو جازيت احسانا بإحسانِ
مري ما شئت غير الترك تَلْقَي كلّ إذعانِ

* * *

لئن أنسى فلن أنسى على الربوات لقيانا
رأينا الحب رأى العين يمشي في حنايانا
وبتنا في حمى الليل نبث الليل نجوانا
ونبعث من فم الدنيا دعاء الحبّ ألحانَا!
وقالت لي وقلت لها حديث الشوق ألوانا
وحان الصبح فانسلّت وثوب الليل قد بانا
تحثّ الخطو مسرعة وأطوي الأرض عجلانا

المكتبات المدرسية

الشّكل والوظيفة

بقلم: د. وسمية عبدالمحسن المنصور/ الكويت

لم تعد العملية التعليمية بمفهومها الحديث قاصرة على الأسلوب التقليدي التلقيني الذي يقف فيه المتلقي موقفا سلبيا يكون فيها أداة استقبال صماء تتلقى ما يلقى إليها دون تفاعل أو إضافة، بل إن العملية التعليمية الحديثة أصبحت عمليات تعليمية وتربوية متعددة تتضافر فيها الجهود المختلفة لتحقق أهدافا تنموية تؤثر على الفرد من جهة، كما تؤثر على المجتمع من جهة أخرى مما يتطلب ان يكون المتعلم فاعلا ومتفاعلا في الوقت ذاته.

ولعل من الحقائق التي لا جدال فيها ان المدرسة تمثل الجهة التي يناط بها الشق الأكبر من مسئولية التعليم، ولما كانت عملية التعليم الحديثة عملية شمولية لا تقتصر على المنهج الدراسي المرسوم فقط بل تتجاوز ذلك الى طموح يعمل على تنمية الخبرات وتفجير الطاقة الابداعية لدى الطلاب فقد أصبح للمكتبة المدرسية دور كبير في صميم العملية التعليمية.

يقول الدكتور محمود الشنيطي في مقدمة ترجمة كتاب «المكتبة المدرسية»:

«ولما كان التعليم الحديث وظيفيا، بمعنى انه يرتبط بمواقف حقيقية وممتعة وطبيعية بالنسبة للتلميذ، ويتطلب مناشط تتلاءم مع قدراته وإمكاناته، فان المكتبة المدرسية أداة ايجابية لهذا التعليم»[1].

(١) «المكتبة المدرسية»، تأليف لوسيل ف. فارجو، ترجمة العزاوي. تقديم محمود الشنيطي (دار المعرفة، القاهرة/ ١٩٧٠م). أنظر المقدمة.

تعريف المكتبة المدرسيّة

جاء في البند الأول من لائحة المكتبات المدرسية التي أقرتها وزارة التربية في جمهورية مصر العربية لسنة ١٩٥٦م أن المكتبة المدرسية «هي مجال النشاط الشخصي لكسب المعرفة بوسائلها المختلفة، وهي تشمل كل ما يحفظ بها من المطبوعات والمصورات والخرائط والصور وغير ذلك مما يساعد على تحقيق رسالتها»[2].

يقول مدحت كاظم: «إذا نظرنا الى المكتبة المدرسية باعتبارها مركزا للاشعاع الفكري والثقافي للمدرسة، وعلى أساس أنها محور للنشاط المدرسي ومكان لتنوير العقل وتهذيب الأخلاق، واذا نظرنا الى طبيعة الكتاب التعليمية كأستاذ صامت، أدركنا قيمة المكتبة في العملية التربوية ومدى اهميتها لتكميل النقص في الفصل.. فهي التي تخرج التلميذ من المحدود الى غير المحدود، ومن الاطار المقيد والمستوى المعين الى مستوى اوسع وقدرات أكبر»[3].

أنواع المكتبات المدرسيّة

تمثل المكتبة المدرسية مركز الاشعاع الثقافي في المدرسة. وتسهم في خدمة أهداف المكتبة مكتبات فرعية داخل

(٢) «المكتبة المدرسية»، مدحت كاظم ص/١٤٩. (٣) المرجع السابق. ص/١٢٥.

الفصول ومكتبات أخرى يطلق عليها مكتبات المادة، لها هدف محدد وهو خدمة تخصص ما بعينه ــ نخلص من هذا الى ان أنواع المكتبات المدرسية:

* ــ المكتبة الرئيسية.
* ــ مكتبة الفصل.
* ــ مكتبة المادة(٤).



المكتبة من حيث الشكل

لم تدخل المكتبة في صميم العملية التعليمية إلا في التعليم الحديث وقد كانت تشغل في فترة ما أحد الفصول أو ركنا منسيا في المدرسة، ولم يكن لها ذلك الدور الوظيفي المخطط له بدراسة جادة، بل كانت المكتبة مكانا للترفيه والتخفيف من عناء العمل. فلم يكن موقع المكتبة او شكلها المعماري أو ما تحتويه يشكل هما ملحا عند المسئولين. أما اليوم فقد أصبحت للمكتبات المدرسية ادارات خاصة ولوائح مرسومة تعنى بشكل المكتبة وموقعها كما تعنى بمحتواها.

فمن حيث الموقع فان التصميم المعماري للمدرسة يتحكم في موقع المكتبة، ويفضل ان تكون مكتبة المدرسة في موقع متوسط، قريبة من الفصول وشرايين المرور الأساسية مع العمل على ان تكون بعيدة، في الوقت نفسه، عن صالة الموسيقى وصالة الألعاب البدنية والمراسم، التي تشكل ورش النجارة جزءا منها لما يدور فيها من ضجيج يقطع على القراء ورواد المكتبة متعة القراءة والاستفادة، كما يؤخذ في الاعتبار أن يكون موقع المكتبة بعيدا عن السلالم وغرف التوزيع الكهربائي وأنابيب المياه مما يتيح لعمليات التوسع امكانية مستقبلية. أما من حيث المساحة فان الباحثين الفنيين التربويين قد حددوا مساحات تقريبية تتناسب مع عدد التلاميذ ومساحة المبنى المدرسي، وقد قدرت تلك المساحة بحيث يكون لكل تلميذ ٩ أمتار تقريبا شاملة لكافة الخدمات المكتبية التي تقدم للطالب داخل المكتبة(٥) والذي يعنينا في هذه العجالة ان تكون امكانية توسيع المكتبة مستقبلا قد نالت حظا من التخطيط عند اقامة وانشاء المكتبة المدرسة كما يجب مراعاة ان تشتمل المكتبة المدرسية على الأقسام الآتية: مركز للاعارة، مركز للقراءة، مساحات لاجتماعات الجماعات قليلة العدد مثل «جماعة أصدقاء المكتبة»، قسم العرض والاستماع، مساحات لعرض الكتب على رفوف مكشوفة، مساحات للتخزين، مساحات للتجول في المكتبة، مركز للمراقبة، قسم للنسخ والتصوير. غرفة الاعداد وفيها تتم عملية ترميم الكتب وصيانتها ويستحسن ان يكون موقع المكتبة المدرسية قريبا مما يحتاجه رواد المكتبة من خدمات أخرى.

وأما من حيث الاضاءة فيجب العمل على أن تتزود المكتبة بالضوء الطبيعي مع أهمية توفير إضاءة صناعية كافية مباشرة وغير مباشرة على أن تكون مصادر الضوء بعيدة عن متناول يد الطلاب خاصة في المدارس الابتدائية.

ومن حيث الأثاث فيجب العناية بأمرين لهما أهميتهما هما: متانة صناعة الأثاث ومناسبة حجمه لطول التلاميذ ففي رياض الأطفال والمدارس الابتدائية تجب مراعاة هاتين الملاحظتين حتى يتمكن الصغار من الاستفادة من المكتبة، كما يجب مراعاة ان تكون مادة الأثاث من المواد المعالجة كيميائيا بحيث تكون ناعمة الملمس غير حادة الزوايا مما يوفر الأمان للرواد، ويجب العمل على تزويد أرجل المناضد والكراسي بوسائد جلدية تمنع الصوت عند جرها على الأرض. وتجدر الاشارة الى أنه يجب ان تكون أرضية المكتبة مغطاة بمادة عازلة للصوت سواء كانت سجادة او أية مادة أخرى، ويراعى في ألوان الأثاث الألوان الهادئة والتي تتناسب مع حجم المكتبة ومساحتها ومصادر الاضاءة فيها(٦). وفي مجمل الأمر يُراعى في الأثاث البساطة وسهولة الاستعمال. ومن قطع الأثاث الواجب توفرها في المكتبة منضدة الاعارة وتكون مزودة بادراج للفهارس وأدراج أخرى للبطاقات وأخرى متعددة للأدوات المستعملة وغير ذلك مما يحتاج اليه مسئول الإعارة.

وتزود المكتبة بأرفف للعرض مكشوفة يسهل على الرواد تناول ما يحتاجونه منها، ومجموعة دواليب مغلقة للتخزين،

---

(٤) «تنظيم المكتبة المدرسية»، محمد ماهر حمادة وآخرون. ص/٣٧، ٣٨.

(٥) «مكتبة المدرسة الابتدائية»، ماري بيكوك دوجلاس، ترجمة عبدالرحمن الشيخ، ص/١١١.

(٦) المرجع السابق نفسه. ص/١١٦.

وأدراج للملفات والسجلات، ولوحات للاعلان وعرض أغلفة الكتب الى جانب بعض الصور والخرائط والمجسمات، وغير ذلك مما يشوّق رواد المكتبة ويحيطهم بجو فني جميل ينمي احساسهم بالجمال ويثير طاقاتهم الابداعية ويذكي فيهم الرغبة في الاطلاع والقراءة والاستزادة في المعرفة عن تلك اللوحة او ذاك المجسم.

ويستحسن أن تتوفر في المكتبة حوامل متحركة للصحف والمجلات. ومن أهم قطع الأثاث الواجب توفرها في المكتبة صناديق الفهارس وغير ذلك من مستلزمات الأثاث لحفظ السجلات، وقد تحتاج بعض المكتبات المدرسية الى عربة كتب تخدم حجرات الدراسة، كما تخدم داخل المكتبة أثناء الجرد واعادة تنظيم الكتب، كما تزود بعض المكتبات المدرسية بسلالم قصيرة تسهل عملية الوصول للأرفف العليا.

محتويات المكتبة

تكشف محتويات المكتبة المدرسية عن طموحات المسئولين عنها، ومدى متابعتهم للجديد والمتطور في عالم المكتبات، وقد شهد العصر الحديث ثورة تقنية كان لها تأثير كبير على تغير أنظمة قطاعات مختلفة في المجتمع. ونال المكتبات نصيب وافر من هذا التغير التقني سارع بتغيير أنظمتها وانعكس على نوعية محتوياتها. فبعد ان كان الكتاب وحده مصدر الاشعاع الفكري في المكتبة تخدمه بعض وسائل الايضاح من صور وخرائط وملصقات، طورت المكتبات المدرسية محتوياتها بحيث لم تعد تقتصر على الكتب فقط وإنما تجاوزت ذلك الى العديد من الوسائل السمعية والبصرية مما انتجته التقنية الحديثة، وقد رصد كثير من الباحثين محتويات المكتبة المدرسية الحديثة، وعدّوا منها[7]:

١ ــ الكتب وتتضمن المعارف والمعاجم وأمهات الكتب.

٢ ــ الوسائل البصرية ويدرج فيها الصور، الملصقات، السبورات المختلفة طباشيرية ووبرية ومغناطيسية والعروض الثابتة الصامتة بأنواعها المختلفة والمجسمات والخرائط والكرات الأرضية والعينات ومنضدة الرمل التي تقام عليها الدروس التوضيحية المختلفة.

٣ ــ الوسائل السمعية: ومنها أجهزة التسجيل والحاكي والراديو والمعامل اللغوية.

٤ ــ الوسائل البصرية والسمعية وفيها الأفلام السينمائية وأفلام الفيديو وأجهزة الحاسب الآلي التعليمية وما يتبعها من شاشات عرض وتلفزيون.

دور المكتبة في تنمية شخصية الطالب

١ ــ تنمية عملية التثقيف الذاتي وعادة الاطلاع الخارجي.

٢ ــ اكساب الطلاب مهارات البحث والتنقيب.

٣ ــ إذكاء الطاقات الابداعية وحفزها.

٤ ــ تنمية روح العمل الجماعي.

٥ ــ غرس عادات سلوكية حضارية عند الطلاب مثل المحافظة على الكتاب والهدوء واحترام وجود الآخرين ورعاية حقهم في الاستفادة من المكتبة.

٦ ــ توظيف غريزة حب الاستطلاع عند الصغار بما تثيره محتويات المكتبة خاصة السمعية والبصرية.

٧ ــ إثراء الخبرات اللغوية والعملية.

٨ ــ تعدد مصادر المعلومات من مادة مكتوبة ومادة حية بالوسائل السمعية والبصرية تجعل المعلومة اكثر التصاقا بذهن الطالب وأسهل في عملية استذكارها واسترجاعها.

٩ ــ خدمة المنهج الدراسي بأساليب حديثة متطورة.

شغل حصة المكتبة

تعددت الدراسات حول كيفية الاستفادة من المكتبة: هل يُكتفى بتوجيه الطلاب الى القراءة والاطلاع بحيث تكون استفادة الطلاب من المكتبة جهدا ذاتيا باشراف المدرس المسئول أو أمين المكتبة، أم تكون الاستفادة عن طريق تشكيل جماعات اصدقاء المكتبة او تخصص حصة في الجدول الدراسي لكل مادة على أن تؤدّى في المكتبة أو هذه الأمور كلها مجتمعة؟

والظاهرة الملفتة للنظر أن بعض المدارس تجعل المكتبة منوطة بتدريس مواد اللغة العربية كالقراءة والخط، وفي هذا الفهم قصور كبير إذ أن اتجاه التربية الحديثة الى ان تفيد المكتبة في تنفيذ المنهج الدراسي لجميع المواد لا مادة اللغة العربية فقط، فقد جاء في الورقة المقدمة للمؤتمر المكتبي الثاني لجمعية اتحاد المكتبيين العراقيين ما يلي:



(٧) «المكتبة المدرسية المطورة» ــ ألفي فاضل ابراهيم. ص/٢١٠.

«إن الباحث يرى أن هناك عاملا مهماً ترتكز عليه الخدمة المكتبية الصحيحة لا يكاد يحس له وجود في مدارسنا وهو الفهم الصحيح من جانب المسئولين عن المكتبة والمدرسين وادارات المدارس لدور المكتبة كوسيلة وأداة في العملية التعليمية والتربوية والربط بينها وبين تنفيذ المنهج الدراسي لجميع المواد التي تدرس. إن الفكرة الشائعة هي أن المكتبة تتصل فقط بدروس اللغة العربية وبدروس القراءة والمطالعة على الأخص»(٨).

وقد اهتمت وزارات التربية والتعليم بأهمية شغل حصة المكتبة فأصدرت النشرات التنظيمية وعينت المشرفين والموجهين وأقامت الأسابيع المكتبية والندوات والدراسات في كيفية الاستفادة من حصة المكتبة، من ذلك ما جاء في المنشور العام رقم ١٧٩ بتاريخ ١٥/٨/ ١٩٥٩ بشأن تنفيذ حصة المكتبة وتقويم نشاط المدرسين في الخدمة المكتبية. فلقد نظم المنشور شغل حصة المكتبة، نلخص ما جاء فيه:

أولا: تدرج حصة للمكتبة في الجدول الدراسي الخاص بكل مدرس كل اسبوعين أو ثلاثة.

ثانيا: تنسق الحصص وفق الجدول العام على أن يدوِّن المدرس أنواع النشاط المكتبي وسير العمل في دفتر خاص.

ثالثا: تشغل حصة المكتبة بأوجه النشاط الآتية:

١ ــ تشجيع الطلاب على كتابة التقارير عن الكتب التي يقرؤونها على أن يقوم المدرسون بمتابعة هذه التقارير ومراجعتها ومناقشتها.

٢ ــ تشجيع الطلاب على البحث والتأليف في صورة مقالات فردية او مشتركة.

٣ ــ عقد ندوات ثقافية يشترك فيها الطلاب ويقومون بتدوين وتسجيل ملاحظاتهم عن سير الندوة.

٤ ــ كتابة التقارير عن الرحلات المدرسية.

٥ ــ تعويد الطلاب على القيام بدور المعلق او المحاضر.

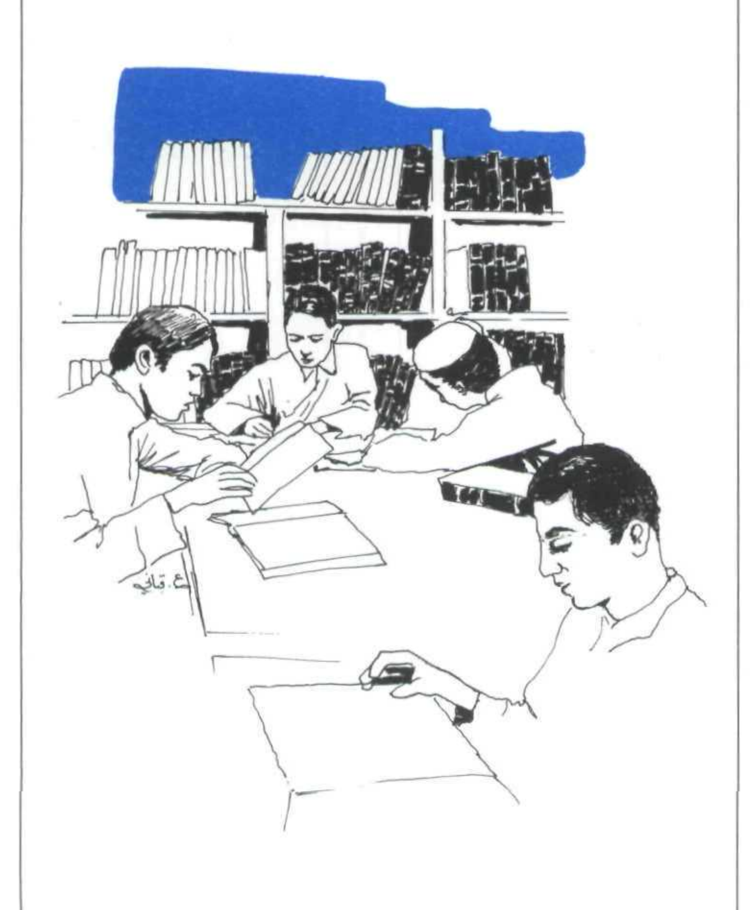
٦ ــ تدريب الطلاب على الاستخدام الفني للمكتبة تحت إشراف أمين المكتبة كتدريبهم على طرق الاستعارة واستخدام بطاقات الفهارس.. الخ.

رابعا: يجب ان تلبي المكتبة احتياجات الفروع العلمية المختلفة، كما توفر ما تحتاجه المواد وفروع الثقافة خارج اطار المنهج الدراسي المرسوم.

خامسا: الاهتمام بمكتبة الفصل واعداد سجلات لمحتوياتها وسجلات الاستعارة.

سادسا: تشجيع الطلاب بوسائل الترغيب المختلفة ورصد الحوافز المادية والأدبية للاستفادة من المكتبة، من ذلك اعداد الرحلات المجانية ومنحهم شارات مميزة او أن يشاد بأسمائهم في حفل خاص او في مجلة المدرسة او يعطوا جوائز مناسبة(٩).

(٨) «المكتبة وعروبة الخليج» ص/١١٣.
(٩) «المكتبة المدرسية»، مدحت كاظم، ص/١٨١، ١٨٣.



ربط المنهج الدراسي بالمكتبة

لن تتحقق الوظيفة العملية للمكتبة ولن يتجلى تأثيرها على الطلاب الا بمدى خدمتها للمناهج الدراسية ودفع أطراف المنهج الدراسي من طلاب ومدرسين الى تتبع ما يتصل بموضوع المنهج الدراسي وما يكشف غموضه ويثري جوانبه، وقد جاء في بعض التوصيات التي طرحت من أجل تطوير أساليب التعليم ما يأتي:

١ ــ ان تحدد أجزاء من المناهج الدراسية تترك لتحصيل الطلاب ودراستهم بأنفسهم.

٢ ــ ألا يعتمد الطلاب على الكتاب المدرسي المقرر اعتمادا كليا.

٣ ــ أن تتغير النظرة الى الامتحانات بحث لا تكون هدفا بحد ذاتها.

٤ ــ ان تتضمن برامج التدريب لجميع التخصصات والمستويات محاضرات عن المكتبة.



٥ ــ ان تتضمن خطة الدراسة الخاصة بمعاهد اعداد المعلمين ودور المعلمين وكليات التربية مناهج خاصة بالتربية المكتبية[١٠].

دور المكتبي

إن الخبرات والكفايات المكتبية المتخصصة والمؤهلة علميا حديثة العهد في مجتمعاتنا العربية، وحتى العقدين الماضيين كانت مسئولية المكتبة تعهد الى مدرّسي اللغة العربية، ومن الحقائق المغلوطة ان العمل كمكتبي هو عمل سهل مرفه يبتعد فيه أمين المكتبة عن مصيدة إعداد الدروس وتصحيح الكراسات، ومتابعة الطلاب ومن ثم اختلطت مفاهيم متعددة حول مهمة المكتبي وقصر بعض أمناء المكتبات دورهم على تسجيل محتويات المكتبة والاعارة والجرد وغير ذلك من العمليات الآلية البعيدة عن الجانب التربوي والتنموي. وقد غفل البعض عن أهمية الجوانب المتعددة لمهمة المكتبي، فاذا كان المدرّس يؤثر في الطالب فقط. فالمكتبي يؤثر في الطالب والمدرّس معا، فمن الناحية الفنية هو الأقدر على توجيه الكل الى مظان المعرفة المطلوبة. وأما من الناحية الادارية فمهمته متشعبة لا تقف عند التسجيل والاعارة بل هي مهمة ادارية وتربوية في آن واحد، فمن العناية بمظهر المكتبة ووضع قواعد لسير العمل، بدءا من تنظيم المكتبة الى اعداد جدول حصص المكتبة وزيارات الرواد ومتابعة حركة الكتاب داخل المكتبة الى العمل على تحقيق اهداف المكتبة وخدمة المناهج الدراسية وتقديم خدمة ارشادية للطلاب بتدريبهم على استخدام المكتبة وتشجيعهم وتنشيط القراءة والاسهام في خدمة المجتمع المدرسي ونشر الثقافة عن طريق اذاعة المدرسة وصحف الحائط والنشرات. بل ان طموحنا يتطلع الى خدمات أخرى يقوم بها المكتبي نحو المجتمع البيئي الذي تقع المدرسة في محيطه عن طريق الاسهام في التوعية الجماهيرية من خلال الندوات وجماعات أصدقاء المكتبة الذين يشجعهم على تحمل المسئولية[١١].

أمين المكتبة

لما كانت الخبرات المكتبية قليلة ونادرة. فقد قامت بعض المدارس بتكليف أحد المدرسين بالقيام بمهمة أمين المكتبة على أن يتفرغ للمكتبة ويعفى من التدريس، وبعض المدارس تخفض جدول أمين المكتبة. واليوم. بعد أن أصبحت الحاجة للمتخصصين ضرورة علمية وملحة فقد لبت المعاهد والجامعات احتياجات المدارس من المكتبيين الفنيين ومساعدي أمناء المكتبة. وما لم يتوفر أحد الكوادر المتخصصة فان المكتبة تعهد الى أحد المدرسين ممن لهم اهتمام بالمكتبة ويفضل من اجتاز الدورات التدريبية المنشطة التي تعدها وزارات التعليم والجهات المعنية.

ومن أهم صفات المكتبي القدرة الفنية وسعة الاطلاع وحب التعاون والأمانة لما لها من أثر كبير في المحافظة على محتويات المكتبة. وتوجيه الرواد. وتحقيق الغايات المرجوة □

(١٠) المرجع السابق، ص/٣٥.

(١١) «المكتبة المدرسية»، مدحت كاظم، ص/٢٠، ٤٥، ١٥٣، ١٥٨.

كتب مهداة









★ «الفصحى ونظرية الفكر العامي» للدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك. يتحدث الباحث في هذا الكتاب عن العامية ومروّجيها وموقف العلماء من هذه الدعوة، وقد تطرق في بحثه الى مدارس الاستشراق التي تتبنى هذه الظاهرة من جديد وتحدث عن الشعر العامي والنشر والتأليف بالعامية.. وقد أوضح الباحث الكثير من الملابسات والظروف التي مرت بها اللغة العربية وكيف تحاك ضدها المؤامرات ويذكيها أبناء اللغة العربية من حيث يعرفون او لا يعرفون.

ويعجب الدكتور مرزوق لتلك الجهود وذلك العناد اللذين يتجهان الى طرق التضليل من قبل مريدي العامية ومحبيها، يعجب كيف لا تنصرف تلك الجهود الى نشر الثقافة باللغة الفصحى واجتثاث الأمية من جسم الأمة بدلا من نشرها والترويج لها. ويقع الكتاب في ٢٤٥ صفحة عدا الفهارس، وهو مقسم الى عشرة فصول.. وقد طبع في مطابع الفرزدق التجارية بالرياض بتمويل من مركز البحوث بجامعة الملك سعود بالرياض.

★ «تنقية المياه المالحة» تأليف ك . س . شبيجلر، وترجمة الدكتور مصطفى محمد السيد. يقع الكتاب في ١٦٠ صفحة عدا الملاحق والمراجع. وقد قسمه مؤلفه الى عشرة أقسام، تحدث في أولها عن مكونات المياه المالحة الطبيعية، ثم تطرق الى وسائل التقطير والديلزة الكهربائية فازالة ملوحة المياه بالتجميد فالتبادل الأيوني فالتناضح العكسي، وختمها بملخص واستنتاجات. وقد طبع الكتاب في مطابع جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، وهو من منشورات مركز النشر العلمي بالجامعة ذاتها.

★ «مقدمات الى الحقد» للدكتور احمد الزعبي. يقع الكتاب في ١٣٤ صفحة،وهو عبارة عن روايتين الأولى بعنوان «لعنات شاكر» وتقع في ٦٤ صفحة، والثانية بعنوان «نعاس فارس» وتقع في ٧٤ صفحة. في الرواية الاولى ثلاث حكايات تشكل أزمة لبطلها الذي يرفض الانسان الخلل. أما الثانية فتتحدث عن شخص يتطوع باستمرار لمساعدة الآخرين لكنه يتأخر عن انقاذ بيته. وقد طبع الكتاب في المطابع التعاونية بعمّان ــ الأردن، ونشرته «دار الأمل للنشر والتوزيع» في إربد، بالأردن أيضا.

★ وللدكتور احمد الزعبي صدر كذلك كتاب بعنوان «البطيخة» وهو مجموعة قصصية تقع في ٤٤ صفحة،وتشتمل على ١٥ قصة قصيرة، مواضيعها مستقاة من البيئة والمجتمع وفيها كثير من الرمز. وقد طبع الكتاب في المطابع التعاونية بعمّان ــ الأردن.

★ «آخر ما جاء في التأويل القروي» مجموعة قصصية للاستاذ حسن النعمي. يقع الكتاب في ٥٤ صفحة ويضم ثماني قصص احداها بعنوان الكتاب، ومعظم القصص رمزية، والكتاب من مطبوعات نادي أبها الأدبي.

★ «اللسان المر» للأستاذ عبدالوهاب الأسواني ومنشورات دار المعارف بالقاهرة. يضم الكتاب روايتين، احداهما «اللسان المر» وتقع في ٣٧ صفحة، والأخرى بعنوان «ابتسامة غير مفهومة» وتقع في ٨٧ صفحة. وموضوع كل من القصتين يدور حول البيئة المحلية □



سر اللوحة الخالدة

تأليف: إدجار الن بو

ترجمة: الأستاذ حسني محمد بدوي / الاسكندرية

كانت مخاطرة من خادمي «بدرو» ان يقتحم ذلك القصر القديم المهجور، وان يدخلني معه وأنا في حالة نفسية غير طيبة، اذ كنت يومذاك كسير القلب، يائسا. فقد كنت اود أن أقضي الأمسية في الهواء الطلق.

ولكن جذبنا ذلك القصر الذي بدا لنا — عن كثب — واحدا من تلك الاطلال المظلمة الكئيبة التي يستثير مظهرها الشعور بالهيبة. وكان من الواضح أن القصر ظل قابعا في عبوسه وتجهمه زمنا طويلا، وسط جبال «الابنين» قبل أن يهجره السيد «رادكليف». وتدل كل الشواهد على أنه مهجور منذ عهد قريب. فقد دخلت أصغر حجراته — وهي أقلها ترفا وتقع في ذلك البرج القصي من القصر، فوجدتها غنية بالزخارف الرثة العتيقة. كانت جدرانها مغطاة بستائر موشاة بألوان متعددة، ومزركشة بأشكال متنوعة، ومعلقا عليها بعض رؤوس الحيوانات المحنطة كتذكارات أثرية. كان يتوافر في تلك الحجرة أيضا، عدد كبير من اللوحات الزيتية الحديثة داخل اطارات مذهبة منقوشة على الطراز العربي. كان بعضها معلقا على الجدران وبعضها الآخر مهملا في الأركان.

وقد أثارت تلك اللوحات اهتمامي، وربما ساعدت على ذلك الأعراض الأولية لمرضي بالحمى الذي كنت قد أصبت به. وهنا أمرت خادمي بأن يغلق درفات نوافذ الحجرة. وكان الليل قد أسدل استاره، وأن يضيء الشمعدان الذي كان مثبتا فوق ذلك السرير الذي اضطجعت عليه، وأن يزيح جانبا، تلك الستائر المخملية السود المزركشة التي كانت ذيولها تتدلى فوق هذا السرير.

ولم تكن بي رغبة في النوم، فاستسلمت لتأمل تلك اللوحات، ولمطالعة ذلك الكتاب الذي وجدته ملقيا فوق الوسادة بجانب، وهو بمثابة دليل يتضمن وصفا ونقداً لتلك الرسومات.

وظللت أقرأ وأقرأ طويلا صفحات ذلك الكتاب، بشغف وتهيب. وخلال قراءتي كنت أرنو الى تلك اللوحات الفنية وأتفرس فيها.

وسرعان ما انقضت الساعات، وجاء منتصف الليل. وضاعف من شعوري بالكدر ان ذلك الشمعدان كان بعيدا عن متناول يدي. ولم أشأ أن أزعج خادمي الذي كان قد استغرق في النوم، فوضعت الشمعدان بنفسي في مكان مناسب قريب مني، حتى يسقط نوره تماما فوق صفحات الكتاب. ولكن كان لهذا الوضع تأثير غير متوقع، اذ ان

شعاعات الشموع العديدة قد أضاءت الحجرة بنور ساطع رأيت من خلاله صورة لم تسترع انتباهي من قبل، كانت لوحة زيتية ملونة لشابة غضة جميلة. حملقت في الصورة مسرعا، ثم أغمضت عيني. فعلت ذلك لأنها لم تكن واضحة في الوهلة الاولى، ولم يستوعبها إدراكي. وعرفت سبب إغماضي لعيني أثناء اللحظة التي ظلت فيها عيناي مغمضتين. كانت لحظة سريعة التأثير، أتاحت لي برهة للتفكير، وحتى استوثق من أن رؤيتي كانت غير خادعة.

ولكي أهدىء من روعي وأطوِّع خيالي لرؤية أكثر صفاء، فقد نظرت مرة أخرى الى الصورة، بثبات لحظات قليلة، فرأيت، بكل دقة وبلا أدنى شك وعلى هدى أول شعاع لنور الشموع، رأيت ما بدد خمولي وقشع الضباب عن مزاجي الحالم الذي استلب كل حواسي. رأيت ما أفزعني وجعلني أرتد على الفور الى حياة اليقظة. رأيت صورة حسناء تمثل الرأس والكتفين. وكان ذراعاها وصدرها وأطراف خصلات شعرها الوضاء الوهاج، كان كل ذلك قد ذاب خفية في ظلال الغموض، تلك الظلال القاتمة التي كانت تمثل خلفية الصورة. وكان إطار اللوحة بيضاوي الشكل، مذهبا مزركشا على النسق المغربي.

حقاً، ان فن التصوير لشيء جميل جدا. لقد أثارت هذه اللوحة الرائعة فجأة في أعماقي، الحماس. فما رأيت في حياتي مثل هذا الاكتمال في التنفيذ، ومثل هذا المحيا الذي توافرت فيه كل خصائص الجمال الجذاب.

أن خيالي قد اهتز وصحا من غفوته. وخطر لي أنني أمام مخلوقة حية! ثم رأيت في الحال أن خصائص الرسم على هذا النحو داخل إطار كهذا، تحتم على المرء أن يطرد من مخيلته مثل هذا الخاطر فوراً.. رحت أفكر بحماس في هذه النقاط، ظللت هكذا أفكر قرابة ساعة كاملة، وأنا نصف مضطجع، ونصف منحن. كان كل بصري مثبتا كمسمار في تلك اللوحة. وأخيرا، أيقنت بوجود سر حقيقي لتأثيرها السحري، فطرحت ظهري على السرير. لقد عثرت على سحر هذه اللوحة في تعبيرها الحي عن التشابه المتكامل الناطق الذي هالني في الوهلة الاولى ثم أربكني أشد الارباك وروعني أشد الترويع، واستبد بحواسي كلها. وأرجعت الشمعدان الى موضعه السابق في هيبة ورهبة. وكان اهتياجي الشعوري العميق قد جعل رؤيتي للأشياء تخبو للحظات.

وبالرغم من هذا، ظللت أبحث بلهفة وشغف في صفحات ذلك الكتاب الذي يشرح تلك اللوحات ويذكر تواريخها، ظللت أبحث عن ذلك الرقم الذي يشير الى تلك اللوحة البيضاوية الشكل. ولما بلغت مرادي قرأت تلك الكلمات الغامضة الغريبة التالية:

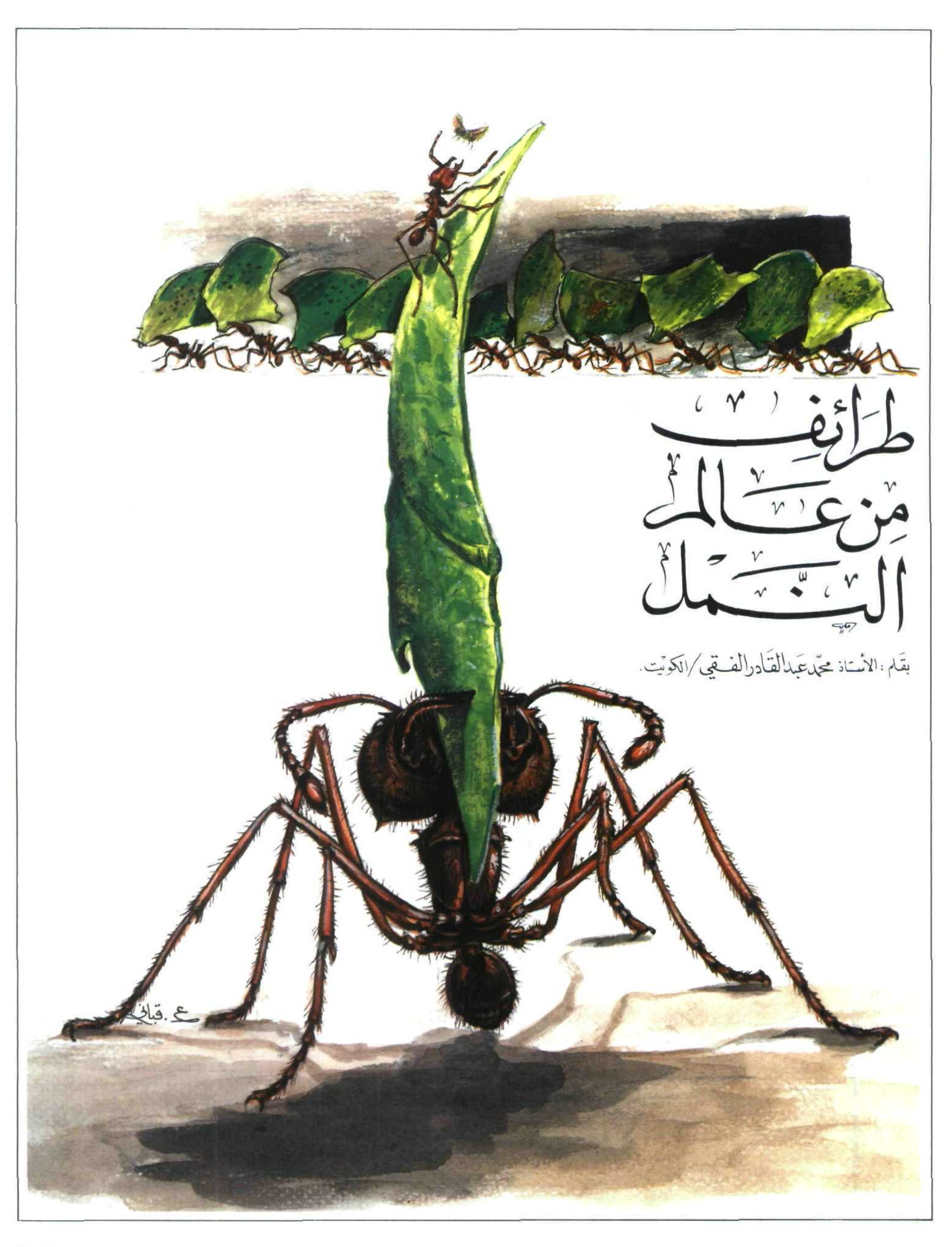
«كانت صبية طاهرة، نادرة الجمال، فريدة البهاء، ليس في الوجود أجمل منها. وكانت وثابة، ممتلئة بالفرح والسرور. وفي ساعة نحس، رأت رساما فنانا أحبها وأحبته فتزوجته. وكان شابا عاطفيا حاد الطبع، سريع التأثر، مولعا بالدرس، مفكرا، صارما متجهما. كان يجد عروسه في فنه الأثير. كانت صبية نادرة الجمال. نعم، ليس في الوجود أجمل منها. وضّاءة وهّاجة، بسّامة الوجه، رشيقة كظبي صغير، ودودة تلاطف كل شيء، تحب كل شيء إلا الفن! الفن وحده كانت تكرهه، لأن الفن كان منافسها و «ضرتها». كانت تخاف من لوحات الألوان، وتغار من فرشاة يمسك بها. بل كرهت كل أدواته المشؤومة التي حرمتها من وجه زوجها الحبيب. كان أمراً رهيبا ان تسمع زوجها يتحدث عن رغبته في تصوير عروسه. وكانت هي متواضعة، مطيعة، فجلست بوداعة ورقة طوال أسابيع عديدة في الظلام، بأعلى حجرة في برج القصر، هي مرسمه، حيث كان النور يتقاطر شاحبا شحيحا على قماش اللوحة.

وكان رسامنا يحرز تقدما في إتقان فنِّه. كان مكبّاً دؤوبا، لا يكف عن الرسم.. ساعة بعد ساعة.. ويوما بعد يوم. كان فنانا حاد الطبع، قاسيا، كئيبا. ضاع في خضم هواجسه وشروده. لذلك لم ير النور وهو يتساقط شاحبا شحيحا في هذا البرج الموحش. وقد ضعفت صحة عروسه وجف عودها وسقمت روحها وذوى طيفها. حدث كل ذلك عيانا. لكنه هو وحده الذي لم ير شيئا من ذلك كله. وهي لم تزل تبتسم، ولم تزل ساكنة هادئة، لا تشكو ولا تتذمر، لأنها رأت أن الرّسام (الذي ذاع صيته)، قد تحمس وضحّى بكل سعادة في سبيل عمله!

ظل مكبا على عمله ليل نهار، يرسم عروسه التي أحبته، وكانت تزداد غماً وكآبة ووهنا. وبلغت اللوحة حد الاكتمال الى درجة ان كل من كان قد رآها، لم يملك إلا أن يتوجه اليها بحديث هامس، وكأنها أعجوبة فذَّة ومعجزة عبقرية ودليل قاطع على اقتدار هذا الفنان وعلى حبه العميق لعروسه التي رسمها بتفوق لا يبارى.

ولكن، أخيرا، حينما أوشك العمل على نهايته، لم يسمح فناننا لأحد بالدخول الى برجه، لأنه أصبح غيورا غيرة ضارية على لوحته التي أنجزها، ولم يكن يرفع عنها عينيه الا نادرا، حتى انه لم يعد ينظر الى محيا زوجته! ولم يكن يدري أن مزيج الألوان الخفيفة الناعمة، الذي كان يفرشه فوق اللوحة، كان يستمده بفرشاته من تورّد وجنات عروسه الجالسة بجانبه!

وبعد مضي عدة أسابيع، ولم تبق لديه سوى اللمسات الأخيرة، لمس بفرشاته الفم لمسة واحدة، ومسَّ العين بلون خفيف. وعند ذاك خفقت روح العروس ورفرفت كأنها وهج الشعلة داخل كوة المصباح. وكفت الفرشاة عن الحركة، وسكنت الألوان، ووقف الفنان لحظة ذاهلا أمام لوحته التي أنجزها. لكنه في اللحظة التالية عندما تفرَّس فيها وحملق، أخذته رعشة وشحب لونه. وعندما استدار فجأة لينظر الى زوجته الحبيبة، وجدها قد فارقت الحياة!» □


طرائف من عالم النمل
بقلم: الأستاذ محمد عبد القادر الفقي / الكويت.

النمل هذه الحشرات الصغيرة التي لا تكاد تخلو منها مدينة أو غابة، والتي كرمها المولى — عز وجل — بذكرها في القرآن الكريم، وشرفها بتسمية سورة من سوره باسمها.. لها من الطباع ومن الصفات ومن القدرات ما يميزها عن غيرها من الحشرات، ولمجتمعها من الغرائب والطرائف والعجائب الكثير والكثير.

لقد أثار مجتمع النمل الاقدمين، فحاكوا حوله القصص والحكايات، وألفوا عنه خرافات لطيفة، وجاء العرب فضربوا به المثل في الاستهانة فقالوا: (ما عسى ان يبلغ النمل)، وفي الحرص فقالوا: «أحرص من نملة»، وفي الكثرة فقالوا: «جاءت مثل النمل»، وفي كسب القوت وجمعه فقالوا: «أكسب من نمل»، و «أجمع من نملة»، وعرفوا قدرته الكبيرة على الشم حتى أنهم اتخذوه مثالا لهذه الصفة، كما يتضح في قولهم (أشم من ذرة).

ولقد لفت مجتمع النمل انتباه علماء المسلمين فأفردوا له بحوثا خاصة في مصنفاتهم العلمية على غرار ما نرى في كتاب (الحيوان) للجاحظ، وفي العصر الحديث، ومع التقدم العلمي الكبير الذي شهده علم الحشرات، اكتشفت اسرار كثيرة لهذا المجتمع، أميط اللثام عن بعضها، والبعض الآخر لا يزال تفسيره غير معلوم.

مجتمع قائم على الطبقات

كما كانت الحال في المجتمع الاغريقي القديم، حيث يقسم الافراد فيه الى طبقات ثلاث أساسية: النبلاء، والجنود، والعبيد، كذلك الحال في مجتمع النمل.

وهو امر طريف وممتع، كان اكتشافه بمثابة الانقلاب الذي أدى الى تغيير كثير من مفاهيمنا حول النمل، والتي استمرت اجيالا طويلة، وكان مفادها ان النمل مجتمع متعاون مترابط لا تمييز فيه بين نملة وأخرى !

ففي بحث نشرته إحدى الدوريات العلمية «Nature» قام العالمان «نيجل فرانكس — N. FRANKS» و «ادوارد سكوفل — E. SCOVEL» بتقويض الاعتقاد السائد بأن التعاون والنظام هما السمتان اللتان تسودان مجتمع النمل، وأكد الباحثان أن فصيلة واحدة من النمل لا تعمل شيئا سوى الاعتداء على فصائل اخرى واستعباد افرادها، كما كان يحدث في المجتمعات القديمة قبل إلغاء نظام الرق والاستعباد، فالغرض واحد في كلتا الحالتين: استغلال المستعبد، وحمله على أعمال السخرة.

وتقوم فصيلة النمل العدوانية بـ «تصبيح» بيوت الفصائل الأخرى ومهاجمتها ونهبها، ثم تدفع أفراد تلك الفصائل أسرى، لتسوقها الى حيث تشاء، وتسلبها حريتها وارادتها، وتحملها على بناء بيوت لها، وتوفير الطعام لشتى أفرادها، ناهيك بالدفاع عنها اذا ما هوجمت! وفي هذه الفصيلة العدوانية: طبقة ارستقراطية، تتمثل في بنات الملكة، حيث يسخر العبيد لخدمة اولئك النبيلات، وعادة ما يدب الخصام بين بنات الملكة حول الطعام الذي يحضره لهن العبيد، والطعام السائل على وجه التحديد، وسرعان ما يتطور الخصام الى نزاع وقتال بينهن والمنتصرة فيهن تظفر بالغذاء الجيد، كما لو كانت ملكة، وحين يتسنى لها ذلك فانها تبيض لتنجب ذكورا فقط، وكثيرا ما تتدخل الملكة الحاكمة للحد من التنافس بين بناتها، وذلك بالحد من قدرتهن على وضع البيض، فهي تلاحظ المتفوقات منهن فتطالبهن بتزويدها بالطعام!

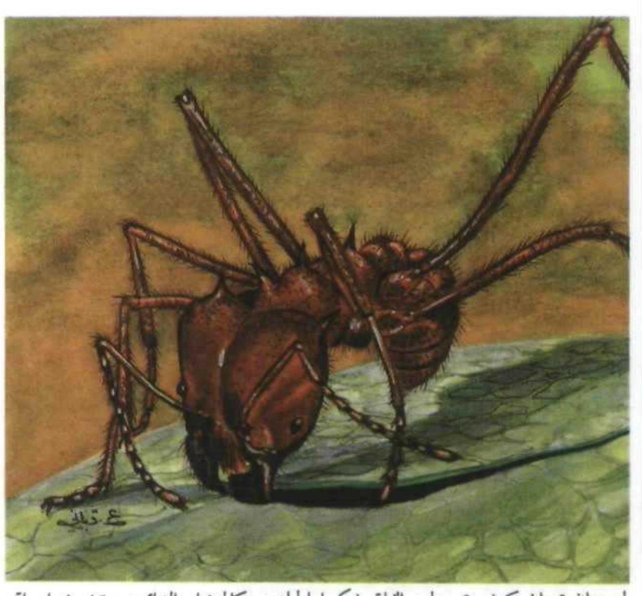
تموت لو تركت بمفردها

في هذا المجتمع الطبقي، تكون الوحدة أمرا خطيرا جدا بالنسبة للنملة التي يدفعها سوء حظها الى «اعتزال» هذا المجتمع، سواء أكان ذلك بارادتها، أو قسرا لأي سبب كان! والنمل، مثل النحل، لا يحتمل العيش منفردا، فهذه الحشرات اذا ما تركت بمفردها او ضمن مجموعات صغيرة جدا، فانها ستضرب عن الطعام وتموت خلال فترة وجيزة!

شهادة وفاة بالرائحة

وحين تموت النملة، فانها تعلن عن وفاتها في مجتمع النمل، وتخبر قومها بالسبب، سواء كان طبيعيا او نتيجة لاغتيال! او لوقوعها تحت حذاء انسان!

أما كيف تعلن ذلك: فان هذا يتم باستخدام لغة سرية يفهمها النمل، مفرداتها هي «الفيرومونات — Pheromones»، وهي مواد كيميائية قريبة الشبه بالهرمونات، مع فرق جوهري وهام بينهما، ذلك ان



لوحتان تريان كيف تستطيع النملة بفكيها الحادين كالمنشار الدائري، تشريح اوراق الشجر ورفعها عاليا، ثم سحبها الى مسكنها الكائن تحت الأرض.

الهرمونات تنظم حياة الكائن من الداخل لأنها تفرز من غدده وتنطلق في دمه، في حين أن الفيرومونات تؤثر عليه من الخارج، لأنه يستقبلها على أجهزة استقبال خاصة فتؤثر فيها، وتوجه سلوك الكائن نتيجة لذلك.

ويختلف التركيب الكيميائي للفيرومونات التي تفرزها النملة عند وفاتها بصورة طبيعية عن ذلك التركيب الذي تفرزه عند اغتيالها، وحين تصل رائحة الفيرومونات الى باقي أفراد المجتمع فانهم يميزونها، ويتخذون التدابير اللازمة ليشيعوها، وفي الوقت نفسه يعدون العدة لصد الهجوم المرتقب اذا كانت الوفاة ناتجة عن فصيلة نمل أخرى.

وقد يبدو ذلك خيالا، على حد تعبير الدكتور عبدالمحسن صالح، ولكن التجربة المثيرة التي قام بها الاستاذ «ادوارد ويلسون ــ E. WILSON» بجامعة هارفارد الأمريكية تفسر ذلك اذ قام باستخلاص مادة الفيرمون التي ينعي بها أموات النمل أترابهم الأحياء من موتهم، ليحملوهم بعيدا عن المستعمرة الى كومة صغيرة قريبة من قريتهم، حيث يلقون فيها كل ما يقابلهم من نفايات غير مرغوب فيها.

والتجربة ببساطة واختصار تتركز في دهان بعض أحياء النمل بعطر الموت المستخلص من نملة ميتة، ثم ترك هذا البعض ليدخل القرية، وحين فعل ذلك «ويلسون» حدث شيء غريب، اذ حمل النمل عنوة كل نملة تحمل فيرومونات الموت على جسدها والى خارج القرية ألقوها، وحينما عاد النمل «الميت» الحي اليهم مرة أخرى، حملوه من جديد الى المدافن، وتكررت العملية حوالي ثلاثين مرة، عدها «ويلسون» عداً، وأخيرا اعتبر النمل رفاقه الأموات من الأحياء، وسمح لهم بالبقاء، لكن بعد ان تطايرت فيرومونات الموت وفقدت أثرها في الاعلان.

والنمل في ذلك معذور، فلا الذي كتب له «ويلسون» شهادة الوفاة على جسده يدرك لماذا حمله الرفاق الى قبره رغم انه يتمتع بالصحة والعافية، ولا كذلك النمل المُشيِّع يستطيع ان يتغاضى عن النداء الذي حمله الأحياء كشهادة وفاة معلنة بالرائحة، فالقانون هو القانون ولا استثناءات فيه في ممالك النمل.



رسمة لنملة عاملة وهي تزحف على جذع لشجرة «الاكلبتوس» ممسكة بين فكيها دبورا ميتا اقتنصته في ليلة قارسة. وتنتمي هذه النملة الى نوع بدائي من النمل يعرف علميا بـ «Nothomyrmecia macrops»، ويتميز بقدرته على التكيف مع الظروف المناخية الصعبة.

فيرومونات للانذار المبكّر

وكما يتعرف النمل الى موتاه بالفيرومونات، فانه يتعرف ايضا الى أي اجتياح قد تتعرض له مملكته، اذ أن كل قرية تحمي نفسها بما يعرف الآن بنظام الانذار المبكر، حتى لا يفاجأ النمل المعتدى عليه بالمعركة ويداهمه العدو داخل مساكنه على حين غرّة.

وحين تتعرض فصيلة النمل المكلفة بالانذار المبكر للهجوم تنطلق من افرادها فيرومونات الانذار، وعندئذ يعرف من في القرية المعتدى عليها ان هناك شغبا، ليس هذا فحسب، بل ان بعض افراد القرية يسرعون الى الداخل، ويطلقون صيحة الحرب، من خلال نوع خاص من الفيرومونات ايضا، ليبدأ الأفراد جميعا في الخروج للتصدي للهجوم والذود عن قريتهم.

ويتم تمييز أفراد العدو من أفراد القرية من خلال الفيرومونات أيضا، لأن المواد المركبة منها هذه الفيرومونات تتحدد بنوع التربة والغذاء والمناخ العام داخل القرية، ولا تتحدد بنوع الفصيلة.



رسمة تمثل معركة بين فصيلتين من النمل الامازوني الأحمر، والنمل الأسود. وفي مثل هذه المعركة تنطلق فيرومونات الانذار لتجذب مزيدا من النمل الى ساحة القتال.

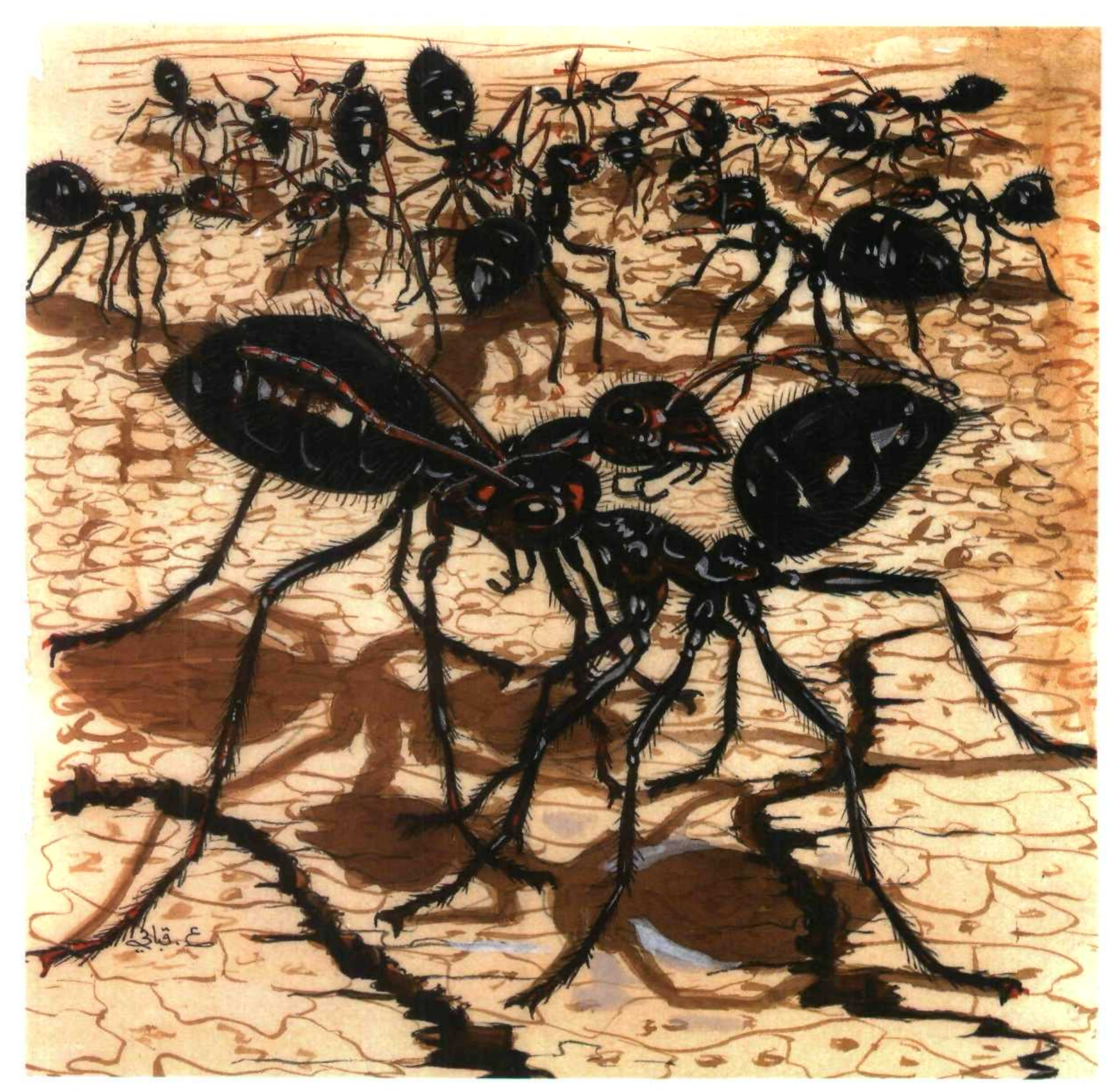
ينقل المرض أحياناً

وهناك أنواع من النمل تنقل المرض احيانا للأبقار والأغنام، بل وللانسان أيضا. فالنمل «عائل» مناسب لنمو حيوان طفيلي مزعج جدا يسمى «الدودة الرمحية ذات الفكين». والحيوان الطفيلي هذا يعيش في الكبد، أما يرقاته فلا يمكنها العيش إلا في أجسام النمل، وحين تأكل الأبقار والأغنام حشرات النمل الحاملة لتلك اليرقات (أثناء تناولها لغذائها من الأعشاب والحشائش)، فانها سرعان ما تصاب بذلك المرض، وعلى الرغم من أن عدد النملات المصابة يمكن ان يشكل نسبة ضئيلة قد تبلغ نملة واحدة من بين كل عشرة آلاف نملة سليمة، فإن عدد إصابات المواشي غالبا ما يكون كبيرا.

ومكافحة الدودة الخطيرة التي تنقل النملة يرقاتها أمر صعب للغاية، بل وحتى اكتشاف المراعي التي يتفشى فيها المرض ليس بالأمر اليسير دائما، إذ أنه غالبا ما يتطلب بذل جهود شاقة ولفترة طويلة. ولكي يكون بالامكان معرفة ما اذا كانت النملة تحمل في جسمها يرقات الدودة الخطيرة أم لا فان الأمر يتطلب تشريح تلك النملة وإخراج معدتها وتحضير مادة خاصة منها توضع تحت المجهر، ثم يجري البحث هناك عن نقاط سود، هي بالأحرى الآثار التي تركتها «المذنبات — Cercaria» (وهو الاسم الذي يطلق على يرقات الدودة الرمحية ذات الفكين في أحد أطوار نموها) في جدار معدة النملة حين غادرتها.



لوحة تمثل قيام الملكة بانجاز مهمتها الأولى، وهي وضع الآلاف من البيض على مدار العام، ويلقح معظم هذا البيض بواسطة بنك الحيوانات المنوية، الذي تكوّن في السنوات الماضية، ومنه تفقس أناث النمل. أما البيض غير الملقّح فتخرج منه الذكور.



لوحة تمثل مجموعتين متنافستين من النمل تستعرضان قوتيهما في حرب صورية تتمثل في تلامس قرون الاستشعار والسيقان لاختبار قوة كل منهما للأخرى.

ومنذ أمد قصير وجَّه العلماء اهتمامهم الى سلوك المذنبات بعد مغادرتها لمعدة النملة. ومما أثار استغراب هؤلاء العلماء ودهشتهم هو أن غالبية تلك اليرقات تظل في التجويف البطني للنملة، بينما يتسرب البعض الى العقدة العصبية تحت البلعومية التي تعتبر من أهم أقسام الجهاز العصبي لحشرة النمل، وهناك تتحول المذنبات الى الطور الأخير من نموها كي تصبح بعد ذلك دودة بالغة.

وراح العلماء يركزون أبحاثهم على مصير تلك النملات الحاملة لليرقات، اذ أن وجود أي كائن حي في دماغ هذه الحشرات لا بد وأن يترك أثره في تصرفاتها وسلوكها. ومضت فترة من الزمن طويلة دون ان يتمكن العلماء من ملاحظة شيء ما يستحق الذكر، واتضح فيما بعد انه من الصعب جدا التمييز بين النملة المريضة والنملة السليمة اذا ظلت درجة حرارة الهواء عالية بما هو كاف. فالنملتان كلتاهما تواصلان المضي في طريقهما المعتاد وتحملان الى بيتهما القوت ومواد البناء، وتشاركان في كافة الأعمال والنشاطات الجماعية. ولكن، بمجرد حلول المساء، حيث تبدأ درجة حرارة الجو بالانخفاض شيئا فشيئا، تتوجه النملة المصابة الى قمم الأعشاب والنباتات وتتشبث بها بقوة بواسطة فكوكها، وتظل على حالتها تلك دون حراك حتى مطلع الفجر حين تبدأ الشمس بتدفئة الأرض. وهذه النملات المتشبثة بالأعشاب هي ذاتها التي تتسرب الى أمعاء الأبقار والأغنام أثناء الرعي في المساء وفي الفجر. وكلما كان الجو أبرد زاد تشبث النملات المصابة بالأعشاب، وبالتالي تزداد نسبة إصابة الماشية بالمرض.

حمامات النمل للطيور

واذا كان النمل يتسبب في اصابة الماشية بالدودة الرمحية ذات الفكين، هذه الدودة التي يمكن ان تنتقل بعد ذلك الى الانسان عند تناوله للحوم هذه الماشية، فان النمل يمكن ان يتسبب ايضا في حدوث «تهيج» لجلد الانسان اذا وخزه بإبره المدببة الحادة، اذ ان هذا الوخز يؤدي الى انسياب حامض عضوي مهيج يعرف باسم حامض النمليك او«الفورميك — Formic».

ومن الطبيعي أن يؤلم لدغ النمل الانسان، لكن من الغريب — وما اكثر الغرائب التي يحفل بها هذا الوجود — أن تلجأ بعض الطيور لالتقاط النمل حتى يلدغها، حيث تبدأ أحداث هذه الظاهرة بطير يحط على الأرض حيث توجد تجمعات النمل، فيلتقط بمنقاره نملة، ويفرد احد جناحيه، أو قد يفرد الجناحين معا، ويبدأ بتمرير النملة على مواقع منابت الريش الذي يستخدمه في الطيران، وبعد ان ينتهي من ذلك، يحدث أحد أمرين، فإما أن يبتلع النملة وإما أن يلقيها أرضا، يتوقف ذلك على نوع الطير، ثم يلتقط نملة أخرى، ويكرر العملية ذاتها، على الجناح الأيمن تارة، وعلى الأيسر تارة أخرى، وتستمر العملية عشرات المرات، ولذا يحلو للبعض تسميتها باسم «حمامات النمل».

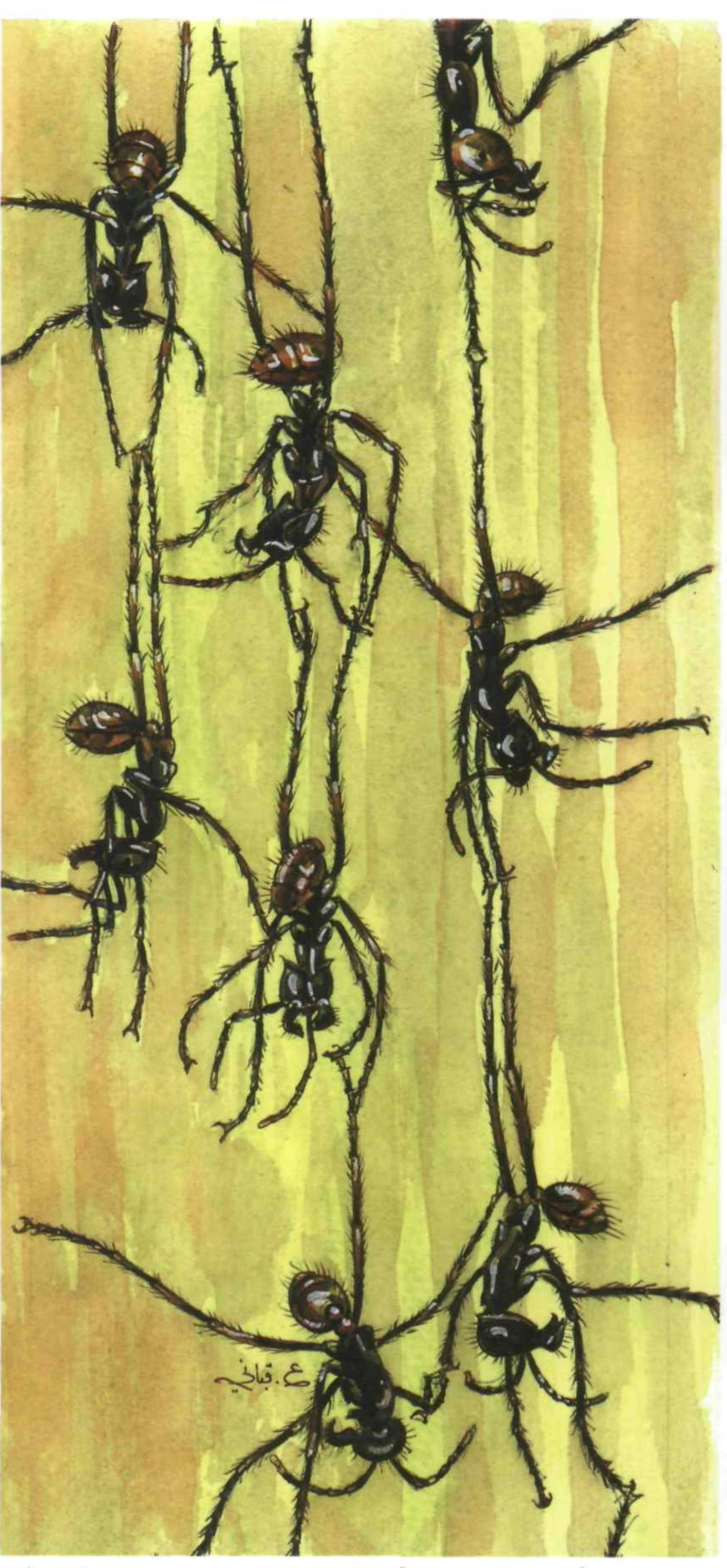
وتحدث هذه الظاهرة المثيرة بين أنواع الطيور المغردة، فهناك حوالي مائتي نوع من أنواع الطيور تدعك منابت ريش الجناحين بالنمل، وحين تقوم هذه الطيور بذلك تنتابها حالة من الاثارة الغريبة اذ تبدأ في التلوي والانبطاح على الأرض في أوضاع تثير الدهشة والعجب، وكأنما هي تترنح وتعربد على طريقتها الخاصة.

والشيء الأكثر غرابة ان هذه الطيور اذا أرادت القيام بأخذ «حمام نملي» فانها تبدأ دائما بجناحها الأيسر، وبعد إتمام العملية ثلاث مرات تفعل الشيء نفسه بجناحها الأيمن مرة واحدة، ثم تعود للأيسر لتكرر العملية ثلاث مرات، وللأيمن مرة واحدة بعد ذلك، وهكذا دواليك.

ولا يزال تفسير هذه الظاهرة غير معروف، ولم يُؤتَ أحد في العصر الحديث منطق الطير حتى يسأله: ماذا يمكن ان يحتويه النمل من مادة او مواد تجعل الطير يسلك معه مثل هذا السلوك الغريب! ولماذا يدعك الجناح الأيسر أولا، وثلاث مرات بالذات! ثم يدعك الجناح الأيمن مرة واحدة فقط؟!

نمل يمارس حرفة الرعي

وهذا أمر طريف وغريب في عالم النمل، وعلى وجه الخصوص: نمل الغابات الأحمر، فالنمل من هذه الفصيلة له ذوق غريب في اختيار طعامه، فهو لا يأكل إلا براز حشرة



تستدعي الظروف أحيانا ان يكون النمل على أهبة الاستعداد للحركة والتنقل مما يصرفه عن اتخاذ مسكن دائم له، ويحفزه على التضافر والتماسك في اثناء الليل ويبدو هنا كسلسلة متدلية من الحبال. وتمثل اللوحة مجموعة من النمل وقد جعلت من تماسكها وتعاضدها مأوى لها.



رسمة توضح كيف تقوم فرق النمل بمضغ الأوراق على عمق ثلاثة أمتار تحت الأرض فيما يشبه «خط التجميع» وتكوين مزيج خاص لتغذية الفطريات التي تقدمها النملة العاملة الى الملكة واليرقات. وتستطيع هذه الفرق ازاحة نحو ٤٠ طنا من الرمل لاقامة مستعمرة كبيرة لها.

خاصة هي قمل النباتات، وربما كان تفضيله لهذا الطعام الغريب يرجع الى احتواء براز قمل النباتات على السكر وغيره من المواد الغذائية التي يفضلها النمل ويدب الى مصادرها.

والأكثر إثارة من ذلك ان يقوم هذا النمل على تربية ذلك القمل ورعايته والدفاع عنه وحمايته من أعدائه، حتى يحصل على طعامه المفضل من مخلفاته، ففي الخريف يبدأ النمل بالبحث عن بيض القمل لينقلها الى جحره ويخفيها فيه، وبمجرد حلول فصل الربيع وعودة الدفء من جديد يقوم هذا النمل بحمل القميلات الصغيرة «الوليدة» حيث ينقلها الى الحشائش، وهناك يواصل رعيها من الفجر حتى الغسق، تماما كما يرعى الراعي قطيع أغنامه، فاذا حل الظلام عاد بها الى «بيته»، وتستمر الحال على هذا المنوال الى أن يجيء الصيف، وتصبح الليالي أكثر دفأً، وآنذاك يواصل رعيها في الغابة آناء الليل وأطراف النهار. وهناك أنواع أخرى من النمل تقوم بتربية «القمل الجذري»، أي قمل النباتات الذي يعيش على جذورها. وخلال عام يتمكن نمل قرية واحدة من جمع قرابة المائة كيلوجرام من براز هذا القمل. وهو رقم كبير اذا ما قارناه بالمجهود الذي ينفقه النمل في جمعه ونقله والمحافظة عليه، لكن ليس ذلك بغريب، فالنملة تستطيع ان تحمل ما يفوق وزنها، كما تستطيع ان تنذر قومها بالخطر كما أسلفنا القول، وكما قالت احدى أسلافها حينما رأت موكب نبي الله سليمان عليه السلام مقبلا تجاه مملكة قومها: **﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾** النمل/١٨ □

المراجــع

١ ــ ب. سرغييف ــ الممتع والطريف في علم وظائف الأعضاء ــ ترجمة حسام شاه ــ دار مير للطباعة والنشر ــ موسكو ــ ١٩٨٢.

٢ ــ د. عبدالمحسن صالح ــ قاموس من مفردات لا مكتوبة ولا منطوقة ــ مجلة العربي ــ العدد ٣٠٧ ــ الكويت ــ يونيو ١٩٨٤.

٣ ــ د. صلاح بركات ــ لغة التفاهم عند الحشرات ــ مجلة العربي ــ العدد ٢٨٣ ــ يونيو ١٩٨٢.

٤ ــ د. عبدالمحسن صالح ــ لغز العصافير والغربان مع النمل والنيران ــ مجلة العربي ــ العدد ٢٦٨ ــ مارس ١٩٨١.

٥ ــ اعداد مختلفة من مجلات «Science» و«Nature» لسنة ١٩٨١ و ١٩٨٢.

٦ ــ الميداني ــ مجمع الأمثال ــ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١.



راجع مقال: « طرائف من عالم النمل »



راجع مقال : «المدينة الصناعية الثانية بالرياض»